مجلة
كلية البنات الأزهرية بالعاشر
من رمضان

التسبيح في القرآن دراسة موضوعية

إعداد الدكتورة

رفيدة محمود شوقي عمر سرحان.

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقرين

جامعة الأزهر

العدد التاسع ديسمبر ٢٠٢٤ م

الترقيم الدولي (٣٦٠٧-٢٦٣٦)

الترقيم الدولي الإلكتروني(٣٦١٥-٢٦٣٦)

رقم الإيداع بدار الكتب (٢٠٢٤/٢٤٣٢٩)

التسبيح في القرآن دراسة موضوعية

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على كيفية تطبيق هذه العبادة (التسبيح) من خلال الآيات القرآنية وإبرازها في قالب تطبيقي، ولتحقيق هذا الهدف سلكت المنهج الموضوعي للآيات القرآنية مع التركيز على المفهوم التأصيلي والتطبيقي، وتم عرض الآيات التي تناولت موضوع التسبيح ثم استنباط أبرز ما ينبغي علينا فعله تجاه التسبيح، وقد خلص البحث في نتائجه إلى: تنزيه الله اعتقادًا وقولًا وعملًا عمَّا لا يليق بجنابه، وأن التسبيح عبادة من أعظم العبادات وأجلِّ القربات إلى الله ، فهو عبادة الملائكة والمؤمنين من عباده وجميع مخلوقات الله، وغاية إرسال الرسل الإيمان بالله تعالى ورسوله، والقيام بتسبيح الله وتنزيهه، وأن التسبيح مختص بالله وحده؛ فإنَّ المتأمِّل في آيات القرآن الكريم يَلحظ أنَّ التسبيح – سواء جاء باللفظ أو بالاعتقاد – حقٌّ خالص مِن حقوق الله ، لذا لا يجوز أن يُنعَت به أحدٌ سواه أيًّا كان؛ وذلك لأنَّ لله وحده صفات الكمال المطلَق.

وأمر اللهُ نبيه ﷺ في القرآن بهذه العبادة وأمرنا بها، ومدح أهلها، وقد تنوَّعت أساليب القرآن الكريم في عرْض تسبيح الرسل – عليهم السلام – لربهم ، فتارةً يأمرهم به، وتارة يوجِّههم إلى أن يأمروا به أقوامهم، وتارة يذكُر تسبيح رسُله – عليهم السلام – لذاته

العليَّة، وأخرى يبيِّن فضائله وثمراته، فكان منهج الرسل-عليهم السلام- عمومًا، حيث لازمت عبادةُ التسبيح جميعَ المرسلين- عليهم السلام- فكانوا أئمَّة في كثرة تسبيحهم للذات العليَّة بألسنتهم وقلوبهم وأفعالهم، وقد قصَّ الله في القرآن الكريم مشاهد عديدة مِن تسبيح رسُله – عليهم السلام.

واستغرقت هذه العبادة جميعَ الأوقات، وهي نظيرة الصلاة، ولها نظام تطبيقي لو تم تطبيقه كما أراد الله؛ لكان نجاةً من الكربات، وإجابةً للدعوات، وإعانةً على الصبر، ومغفرةً للذنوب، وتجويدًا للحياة، وفلاحًا للإنسان في الدنيا والآخرة.

الكلمات المفتاحية: تسبيح ، تطبيق ، ذكر ، عبادة ، القرآن .

The Concept of Tasbeeḥ (Glorification) in the Qur'ân: An Objective Study

Abstract

This study aims to highlight the practical application of the act of *Tasbeeḥ* (glorification) through Qur'ânic verses، presenting it in an applied framework. To achieve this goal، the study follows a thematic approach to Qur'ânic verses، focusing on both foundational and practical aspects. The study presents the verses that address *Tasbeeḥ* and derives key actions that should be taken regarding it. The findings include that glorifying Allâh، in belief، word، and deed، involves revering Him above all that is unworthy of His majesty. *Tasbeeḥ* is one of the greatest acts of worship، esteemed by angels، believers، and all creatures. It is also a primary purpose of the prophets' mission—to believe in Allâh and His Messenger and to perform and exalt *Tasbeeḥ*. This act of worship is exclusive to Allâh alone، as reflected in the Qur'ân، where *Tasbeeḥ* —whether verbal or in belief—is solely a right of Allâh، thus it is impermissible to attribute it to anyone else.

Allâh، the Almighty، commands this worship in the Qur'ân، instructing His Prophet ﷺ and Muslims to engage in it، praising those who do. The Qur'ân presents various forms of prophets' *Tasbeeḥ* to their Lord، sometimes commanding it، other times directing them to instruct their people to do it، or mentioning the prophets' glorification of Allâh، highlighting its virtues and benefits. The methodology of the prophets in general، who were leaders in their frequent *Tasbeeḥ* with their tongues، hearts، and actions، is narrated in many Qur'ânic scenes. *Tasbeeḥ* encompasses all times and is analogous to prayer، with an applied system that، if followed as intended by Allâh، provides relief from distress، acceptance of supplications، assistance in patience، forgiveness of sins، enhancement of life، and success in both this world and the Hereafter.

Keywords: Tasbeeḥ، Application، Uttering Allâh's Name، Worship، Qur'ân.

التَّسْبِيحُ في القرآن دراسة موضوعية

مقدمة:

الحمدُ لله رب العالمين، سبح له من في السماوات ومن في الأرض أجمعون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الحق المبين، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، الهادي الأمين، الذي سبح له في كل وقت وحين، صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغُرِّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا يا رب العالمين.

وبعد...

فإن التسبيح ليس مجرد كلمة تقال، ولفظة تردد؛ بل هو استحضار لمعاني صفات الله الحسنى لذلك غالبا ما يرد بعد كلمة التسبيح الأمر بالنظر في ملكوت الله أو التذكر بنعمه. قال تعالى : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)﴾ الأعلى: ١ –٥

فهو عبادة عظيمة أمر الله عباده بها في جميع الأوقات؛ لأنَّ بها ينجّي الله عباده من أصعب الظروف والمواقف، وبها يترقى في مدارج الكمال البشري، وإن أفضل الأذكار ما اختاره الله لعباده، وعبَّر عن التسبيح في كتابه العزيز بصيغ مختلفة، فمن الآيات ما كان مختصًا بتسبيح الملائكة، ومنها ما كان مختصًا بتسبيح المؤمنين بما في ذلك ما كان مختصًا بتسبيح الشجر والرعد والجبال، ومنها ما اختص بتسبيح أنبيائه، فالأنبياء ـ عليهم السلام هم صفوة البشر وأكملهم عبادة وتسبيحًا وتعظيمًا، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم

خاتم الأنبياء وسيدهم، وهم من أعظم مَن نزّه الله سبحانه من الخلائق، وسنحاول في بحثنا هذا – إن شاء الله تعالى – أن نقفَ على ما ورد في كتاب الله ﷻ من الآيات التي جاء فيها ذكرُ التسبيح.

أهداف البحث:

١. الدعوة إلى التحلي بخُلة التسبيح.

٢– بيان أهمية التسبيح وبيان أثره الوجداني على النفس.

٣– إبراز الآيات القرآنية التي تحدثت عن التسبيح.

٤– التحليل لكثير من النصوص القرآنية التي تناولت التسبيح، وكذلك المواقف والأحوال التي أُثِرت عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والأنبياء.

تساؤلات البحث:

١– ما مكانة التسبيح في القرآن؟

٢– ما أهمية التسبيح في حياة المسلم؟

منهجي في البحث:

تقوم الدراسة على المنهج الاستقرائي الموضوعي للآيات القرآنية المختارة من القرآن الكريم مع التركيز على المفهوم المراد تقريره في الدراسة وفق أهداف البحث.

الدراسات السابقة:

١- دلالات التسبيح في القرآن الكريم .للدكتور مزمل محمد عابدين، تناول فيه دلالات لفظ سبح في السياق القرآني.

٢- التسبيح في ضوء القرآن . د. نهلة زهدي محمود زغلول رسالة ماجستير. عرض فيه الباحث المعنى اللغوي والاصطلاحي والسور المبدوءة والمنتهية في العهد المكي والمدني والحكمة من ذلك ثم تناول ثمار التسبيح وفضله وتسبيح الأنبياء ثم ختم بتسبيح ما في السماوات والأرض.

٣- التسبيح النبوي في القرآن الكريم دراسة موضوعية للدكتور إيناس عبد حسن .

٤- آيات الذكر والتسبيح في القرآن دراسة تركيبية دلالية . رابعة أحمد صالح، جامعة عدن.

٥- تسبيح الكون للدكتور أحمد شوقي إبراهيم. يعرض فيها قيمة التسبيح لله وطبيعته.

أما بحثي فهو دراسة موضوع التسبيح؛ لأصلَ إلى إدراك أهميته في القرآن وبعض ما ورد في السنة وتطبيقه من خلال التأسي بالنبي والاقتداء بالأنبياء وتفسير ما جاء من بيان قولي وعملي لهم سالكة مسلك التفسير الموضوعي.

خطة البحث:

قد رأيتُ أنَّ طبيعةَ هذا البحثِ أنْ يتكونَ من: مُقَدِّمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.

أولا –المقدمة: وتشتمل على: توصيف لموضوع البحث، وأهدافه، وتساؤلات البحث، ومنهجي فيه، والدراسات السابقة.

ثانيا – الفصل الأول: التعريف بالتسبيح:

المبحث الأول: معنى التَّسبيح.

المبحث الثاني: التَّسبيح في القرآن.

المبحث الثالث: أوجه التَّسْبِيح في القرآن.

المبحث الرابع: مقاصد التسبيح وأهدافه.

المبحث الخامس: حُكْم التَّسْبِيـــح.

المبحث السادس: أهمية التسبيح.

ثالثا- الفصل الثاني: نماذج قرآنية للمسبحين:

المبحث الأول: تسبيح الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثاني: تسبيح المؤمنين.

المبحث الثالث: تسبيح بقية المخلوقات.

رابعا- الفصل الثالث: أوقات التسبيح وبيان أثره الوجداني:

المبحث الأول: مواطن التسبيح.

المبحث الثاني: الأوقات المخصوصة بالتسبيح.

المبحث الثالث: الأثر الوجداني للتسبيح.

خامسا الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

سادسا-الفهارس: وتشتمل على أهم المراجع التي اعتمدتُ عليها في البحث، وفهرس الموضوعات.

الفصل الأول

التعريف بالتسبيح

المبحث الأول: معنى التَّسْبِيح

المعنى اللغوي: السِّينُ والبَاءُ والحَاءُ أَصْلان:

أَحَدُهُما: جِنْسٌ مِن العِبَادة، والآخَرُ: جِنْسٌ مِن السَّعْي. فالأَوَّلُ السُّبْحَة، وهِي الصَّلاة، ويَخْتَصُّ بِذلك ما كَان نَفْلًا غيرَ فَرْض، والأَصْلُ الآخَرُ السَّبْحُ والسِّبَاحةُ: العَوْمُ فِي المِاء.(١)

المعنى الاصطلاحي: المعنى الاصطلاحي (الشرعي) للتسبيح هو المعنى اللغوي نفسه، لا يختلف عنه، فيُطلق على: تنزيه اللهِ ﷻ عن كلِّ ما لا ينبغي أنْ يُوصَف به، فقولٌ أو مجموعُ قولٍ مع عملٍ يدلُّ على تعظيمِ الله ﷻ وتنزيهِه، ولذلك سُمِّيَ ذكرُ الله تسبيحًا، والصلاةُ سُبْحَة، ويُطلَقُ التَّسبيحُ على قولِ: سبحانَ الله؛ لأنَّ ذلك القولَ من التنزيه، وعلى جَرْيِ الفَرَسِ، قالوا: فلعلَّ التسبيحَ لُوحِظَ فيه معنى سُرْعةِ المرورِ في عبادةِ الله ﷻ(٢).

فالتَّسبيحُ التَّنزيهُ؛ ولكنَّه ليس مُجردَ تنزيهٍ أو نفي مَحْض، بل فيه إثباتُ الكمال، فتنزيهٌ يتضمَّن التَّعظيم، ودليلُ تضمنِه التعظيمَ ما أخرجه مسلمٌ من حديثِ ابن عباس ﷺ عن

---

(١) مقاييس اللغة ٣ / ١٢٥، ١٢٦، مادة "سبح".

(٢) يراجع: المفردات في غريب القرآن ص ٣٩٢، مادة "سبح". و" التحرير والتنوير " ٤٠٥/١ لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي ت : ١٣٩٣هـ، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

النبي صلى الله عليه وسلم قال: « فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فيهِ الرَّبّ ﷻ ... »[١]، والذي وَرَدَ في الرُّكوعِ تسبيحٌ.

التسبيح: وصف الرب ﷻ بالرفعة، والعظمة والجلال، والتعالي عن الأشباه والأمثال، وعما وصفه الملحدون، والتسبيح: تنزيه الرب وتبرئته عن جميع معاني الخلق.[٢] فتنزيه الله ﷻ اعتقادًا وقولًا وعملًا عمَّا لا يليق بجنابه.

التقديس والفرق بينه وبين التسبيح:

التقديس: التقديس: التطهير الإلهي، والتعظيم لله ﷻ، والتطهير هنا غير التطهير الذي إزالة النجاسة المحسوسة، قال تعالى : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ البقرة: ٣٠ أي: نطهّر الأشياء ارتساما لك. وقيل: نُقَدِّسُكَ، أي: نَصِفُك بالتّقديس[٣].

الفرق بين التسبيح والتقديس: هما يرجعان إلى معنى واحد، و تبعيد الله ﷻ عن السوء.

وبين التسبيح والتقديس فرق، وهو أن التسبيح: التنزيه عن الشرك والعَجز والنقص، والتقديس: التنزيه عما ذكروه عن التعلق بالجسم، وقبول الانفعال، وشوائب الإمكان، وإمكان التعدد في ذاته وصفاته، وكون الشيء من كمالاته بالقوة.

بين التقديس والتسبيح عموم وخصوص وجهي، إذ كل مقدَّس مُسبَّح من غير عكس،

---

(١) " صحيح مسلم "كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، ٣٤٨/١ برقم ٤٧٩ .

(٢) تأويلات أهل السنة ١٣٦/٥.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن ٦٦٠، مادة "قدس".

فالتقديس لا يختص به ﷻ بل يستعمل في حق الآدميين، يقال: فلان رجل مقدَّس: إذا أُريد تبعيده عن مُسقطات العدالة ووصفه بالخبر، ولا يقال: رجل مُسبَّح، بل ربما يستعمل في غير ذوي العقول أيضا، فيقال: قدَّس اللهُ روحَ فلان، ولا يقال: سَبَّحه [1].

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: معجم الفروق اللغوية ١٢٤، الفرق بين التسبيح والتقديس، بتصرف يسير.

المبحث الثاني

التَّسْبِيحِ في القرآن

١-تَصَارِيفُ الكلمةِ في القُرآن:

وقد جاء التسبيحُ في القرآنِ بمختلفِ تصاريفِه وصيغِه في تسعين موضعًا: موضعان بالمصدر وموضعان باسم الفاعل، وأربع مرات بالماضي، وثماني عشرة بالأمر، واثنتان وعشرون بالمضارع، واثنتان وأربعون باسم المصدر، وافْتُتِحَتْ به سبعُ سورٍ سُمِّيَتْ المسَبِّحَات، وهي: الإسراء والحديد والحشر والصَّف والجُمُعة والتغابن والأعلى، وخُتِمت به سورُ: الحِجْر والطُّور والواقعة والحَاقَّة.

والفعلُ " سَبَّحَ " قد يتعدَّى بنفسِه بدونِ اللَّام، كقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الأحزاب: ٤٢، وقد يتعدَّى باللَّام، كقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ ﴾ الحديد: ١، وعلى هذا: فـ " سَبَّحَهُ " و " سَبَّحَ لَه " لُغتان، كنَصَحَهُ ونَصَحَ له، وشَكَرَهُ وشَكَرَ لَه.

قال الكرماني في متشابه القرآن: التسبيح كلمة استأثر الله بها فبدأ بالمصدر في بني إسرائيل لأنه الأصل ثم بالماضي في الحديد والحشر لأنه أسبق الزمانين ثم بالمضارع في الجمعة والتغابن ثم بالأمر في الأعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها. (١)

(١) " الإتقان في علوم القرآن " ٣/٣٦١.

٢-صِيَغُ التَّسبيحِ في القرآن:

١- المصدر:

وقد ورد في القرآن مرتين:

قال تعالى : ﴿ وَلكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾الإسراء: ٤٤ ، قال تعالى : ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ النور: ٤١.

- اسم المصدر:

وقد ورد في القرآن اثنتين وأربعين:

المصدر يفيد الإطلاق دون التقييد بزمن، قال أبو البقاء: " وَأما مجيء الْمصدر مُطلقًا فهُو أبلغ من حيثُ إِنَّه يشْعر بِإِطْلَاقِهِ على استِحْقَاق التَّسبِيح من كل شَيء وفِي كل حَال " (١).

قال تعالى :﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة: ٣٢

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ البقرة: ١١٦

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ آل عمران: ١٩١

---

(١) " الكليات " ص٥١٦.

قال تعالى :﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ النساء: ١٧١

قال تعالى :﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ المائدة: ١١٦

قال تعالى :﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الأنعام: ١٠٠

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾الأعراف: ١٤٣

قال تعالى :﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة: ٣١

قال تعالى : ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ يونس: ١٠

قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ يونس: ١٨

قال تعالى : ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ يونس: ٦٨

قال تعالى : ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف: ١٠٨

قال تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ النحل: ١

قال تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ﴾ النحل: ٥٧

قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾الإسراء: ١.

قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ الإسراء: ٩٣

قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّنَا ﴾ الإسراء: ١٠٨

قال تعالى :: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ﴾ مريم: ٣٥

قال تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنبياء: ٢٢.

قال تعالى :﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾الأنبياء: ٢٦

قال تعالى : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٧

قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ المؤمنون: ٩١.

قال تعالى :﴿ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ النور: ١٦

قال تعالى :﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ الفرقان: ١٨

قال تعالى :﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ النمل: ٨

قال تعالى :﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ القصص: ٦٨.

قال تعالى :﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ الروم: ١٧

قال تعالى :﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الروم: ٤٠

قال تعالى :﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ ﴾ سبأ: ٤١

قال تعالى :﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾ يس: ٣٦.

قال تعالى :﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يس: ٨٣.

قال تعالى :﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الصافات: ١٥٩

قال تعالى :﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الصافات: ١٨٠.

قال تعالى :﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ الزمر: ٤

قال تعالى :﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر: ٦٧

قال تعالى :﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ الزخرف: ١٣.

قال تعالى :﴿ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الزخرف: ٨٢.

قال تعالى :﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الطور: ٤٣.

قال تعالى :﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الحشر: ٢٣

قال تعالى :﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ القلم: ٢٩

قال تعالى :﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ المزمل: ٧

قال تعالى :﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴾ النازعات: ٣

٢- اسم الفاعل:

وقد ورد في القرآن مرتين:

قال تعالى :﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ الصافات: ١٤٣ ، و قال تعالى :﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ الصافات: ١٦٦

٣- الفعل الماضي:

ومن تصاريفِ التسبيحِ فعل الماضي (سَبَّحَ)، وفعل المضارع (يُسَبِّحُ)، قال بعض أهل العلم: إنَّما عَبَّرَ بالماضي تارة، وبالمضارعِ أخرى لِيُبَيِّنَ أنَّ ذلك التَّسبيحَ للهِ ﷻ شأنُ أهلِ السماواتِ وأهلِ الأرض، ودَأْبُهم في الماضي والمستقبل(١).

وقد ورد الماضي أربع مرات في القرآن:

قال تعالى :﴿ وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ السجدة: ١٥

قال تعالى :﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الحديد: ١

قال تعالى :﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الحشر: ١

(١) " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن " ٧/٥٤٠،٥٤١، للشنقيطي ت : ١٣٩٣هـ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

قال تعالى :﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الصف: ١

٤- فعل الأمر:

وقد ورد في القرآن ثماني عشرة مرة:

قال تعالى :﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ آل عمران: ٤١

قال تعالى :﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ الحجر: ٩٨

قال تعالى :﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ مريم: ١١

قال تعالى :﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ طه: ١٣٠

قال تعالى :﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ الفرقان: ٥٨

قال تعالى :﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الأحزاب: ٤٢

قال تعالى :﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ غافر: ٥٥

قال تعالى :﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ ق: ٣٩

قال تعالى :﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾ ق: ٤٠

قال تعالى :﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ □ّ الطور: ٤٨

قال تعالى :﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ الطور: ٤٩

قال تعالى :﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ الواقعة: ٧٤

قال تعالى :﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ الواقعة: ٩٦

قال تعالى :﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ الحاقة: ٥٢

قال تعالى :﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ الإنسان: ٢٦

قال تعالى :﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ الأعلى: ١

قال تعالى :﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ النصر: ٣

٥- الفعل المضارع:

ومن تصاريفِ التسبيحِ فعل الماضي (سَبَّحَ)، وفعل المضارع (يُسَبِّحُ)، قال بعض أهل العلم: إنَّما عَبَّرَ بالماضي تارة، وبالمضارعِ أخرى لِيُبَيِّنَ أنَّ ذلك التَّسبيحَ للهِ ﷻ شأنُ أهلِ السماواتِ وأهلِ الأرض، ودَأْبُهم في الماضي والمستقبل(١).

وقد ورد في القرآن اثنتين وعشرين مرة:

قال تعالى :﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ البقرة: ٣٠

قال تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُون ﴾ الأعراف: ٢٠٦

قال تعالى :﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ الرعد: ١٣

(١) " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن " ٧/٥٤٠،٥٤١، للشنقيطي ت : ١٣٩٣هـ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

قال تعالى :﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ الإسراء: ٤٤

قال تعالى :﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾ طه: ٣٣

قال تعالى :﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾الأنبياء: ٢٠

قال تعالى :﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٣

قال تعالى :﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾الأنبياء: ٧٩

قال تعالى :﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ النور: ٣٦

قال تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ النور: ٤١

قال تعالى :﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ يس: ٤٠

قال تعالى :﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ص: ١٨

قال تعالى :﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ الزمر: ٧٥

قال تعالى :﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ غافر: ٧

قال تعالى :﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ فصلت: ٣٨

قال تعالى :﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ الشورى: ٥

قال تعالى :﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾الفتح: ٩

قال تعالى :﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الحشر: ٢٤

قال تعالى :﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ الجمعة: ١

قال تعالى :﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ التغابن: ١

قال تعالى :﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ القلم: ٢٨

ويُسَنُّ لمنْ مَرَّ بهذه الصِّيَغِ في التَّسبيحِ أو أي آيةٍ فيها تسبيح – خارج الصلاة أو في صلاةِ النافلة – أنْ يُسَبِّحَ اللهَ ﷻ.

عن حذيفة، قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلا، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع، فجعل يقول: «سبحان ربي العظيم»، فكان ركوعه نحوا من قيامه، ثم قال: «سمع الله لمن حمده»، ثم قام طويلا قريبا مما ركع، ثم سجد، فقال: «سبحان ربي الأعلى»، فكان سجوده قريبا من قيامه. قال: وفي حديث جرير من الزيادة، فقال: «سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد»[١]

(١) " صحيح مسلم "كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ١/٥٣٦ برقم ٧٧٢.

٣- اقترانُ التسبيحِ بغيرِه من الذكر:

اقترانُ التسبيحِ بغيره من الذكرِ على النحو الآتي:

الأول: اقترن بالحمدِ، وجاء في خمسة عشر موضعًا، منها:﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ البقرة: ٣٠ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ الحجر: ٩٨ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾الفرقان: ٥٨، والعلاقة بينهما، أن التسبيح يتضمنُ التجريد ونفي العُيوب، والتحميدُ يتضمَّنُ التمجيد وإثباتَ صفاتِ الكمالِ التي يُحمَد عليها.

قال ابنُ كثير: ولما كان التسبيحُ يتضمَّنُ التنزيهَ والتبرئةَ من النَّقصِ بدلالةِ المطَابقة، ويستلزمُ إثباتَ الكمال، كما أنَّ الحمدَ يدلُّ على إثباتِ صفاتِ الكمالِ مطابقة، ويستلزمُ التنزيهَ من النقص؛ قَرَنَ بينهما في هذا الموضع، وفي مواضعَ كثيرةٍ من القرآن(١).

فالتسبيح تجريد أو نفي، والتحميد تمجيد أو إثبات، كما في: لا إله إلا الله.

الثاني: اقترن بالاستغفار

وجاء في أربعةِ مواضع:

﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ غافر ٧

﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ غافر ٥٥

﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ الشورى ٥

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ النصر ٣

---

(١) " تفسير القرآن العظيم " ٤٦/٧ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت: ٧٧٤هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤-صِيَغُ التَّسبِيحِ في السُّنَّةِ النَّبَوِيَّة:

ومِن صِيَغِ التَّسْبِيح في السُّنَّة:

١- سُبحانَ اللهِ وبحمدِه، وهي صيغةٌ مأمورٌ بها في القرآنِ في عَدَدٍ من الآياتٌ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ الفرقان: ٥٨، و تسبيحُ الملائكةُ ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ البقرة: ٣٠،
وأَمَرَ اللهُ ﷻ النَّبيَّ ﷺ أنْ يَخْتِمَ حياتَه بالإكثارِ منها، فيَا لهَا مِن صيغةٌ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ النصر: ٣.

وقال النبيُّ ﷺ: إنَّ أَفضلَ الكَلَامِ إلى اللهِ وما اصطفاه لملائكته: " سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِه"(١).

وهذه الصيغةُ مؤقتةٌ في اليومِ والليلةِ بعددٍ رُتِّب عليه أجرٌ، جاء في حديث أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " مَنْ قال: سُبحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِه، في يَومٍ مِائَة مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاه، وإِنْ كانت مِثْلَ زَبَدِ البحر "(٢).

(١) " صحيح مسلم " كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل سبحان الله وبحمده ٢٠٩٣/٤ برقم ٢٧٣١.
(٢) " صحيح البخاري " كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح ٨٦/٨ برقم ٦٤٠٥، و" صحيح مسلم " كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ٢٠٧١/٤ برقم ٢٦٩١.

وجاء في حديثٍ آخر عنه ﷺ قال: "مَنْ قال: حِين يُصبِحُ وحِين يُمسي: سُبحانَ اللهِ وبِحَمْدِه، مِائَةَ مَرَّةٍ، لم يَأتِ أَحَدٌ يوم القِيَامة، بأَفضَلَ مِمَّا جاء بِه، إلا أَحَدٌ قال مِثْلَ ما قَال أو زَادَ عَليه "(١).

٢- سبحانَ اللهِ وبحمدِه، سبحانَ اللهِ العظيم، وفي فضلِ هذه الصيغةِ حديث أَبي هريرة ﷺ قَال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتانِ عَلى اللِّسان، ثَقِيلَتَانِ في الميزَان، حَبِيبَتَانِ إلى الرحمن: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِه، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيم "(٢).

٣- سبحانَ الله، أو سبحانَ ربِّي، وهي من الصِّيغِ التي جاءت في القرآن، وفي فضلها حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قَال: كُنَّا عِند رَسُولِ الله ﷺ، فقال: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكم أَنْ يَكْسِبَ، كلَّ يوم أَلْفَ حَسنة؟» فَسَأَلَهُ سَائلٌ مِنْ جُلَسَائِه: كيفَ يَكْسِبُ أَحَدُنا أَلْفَ حَسَنَة؟ قَال: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَة، فَيُكْتَبُ له أَلْفُ حَسَنَة، أو يُحَطُّ عنه أَلفُ خَطِيئَة»(٣).

(١) " صحيح مسلم " كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ٢٠٧١/٤ برقم ٢٦٩٢.

(٢) " صحيح البخاري " كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح ٨٦/٨ برقم ٦٤٠٦، و" صحيح مسلم " كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ٢٠٧٢/٤ برقم ٢٦٩٤.

(٣) " صحيح مسلم " كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ٢٠٧٣/٤ برقم ٢٦٩٨.

وقَالَ ﷺ: «... وسُبْحَانَ اللهِ والحَمْدُ لله تَمْلَأَنِ - أَو تَمْلَأُ- ما بين السَّمَاوَاتِ والأَرْض...»[١].

وقال ﷺ: «لأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ الله، والحَمْدُ لله، ولَا إله إِلَّا اللهُ، واللهُ أَكبر، أَحَبُّ إِليَّ مِمَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ»[٢]. وهذه الصِّيغة (سبحان الله) مع التكبيرِ والتحميدِ من الأذكارِ البعديةِ للصلاةِ المفروضة، تُقالُ ثلاثًا وثلاثين مَرَّة.

٥- سُبحانَ ربِّي العظيم تقال في الرُّكوع، وتقال عند قراءةِ قولِ الله ﷻ: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾الواقعة: ٧٤، وسبحانَ ربي الأعلى تقال في السجود، وتقال عند قراءةِ قول الله تعالى: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ الأعلى: ١

ومن الصيغِ التي جاءت في الرُّكوع والسجود ما جاء في حديث عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عنها - قالت: " كَان النَّبِيُّ ﷺ يَقولُ في رُكُوعه وسُجُودِه: سُبْحَانك اللَّهُمَّ رَبَّنَا وبِحَمْدِك، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي "[٣].

(١) " صحيح مسلم " كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء ١/٢٠٣ برقم ٢٢٣.

(٢) " صحيح مسلم " كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ٤/٢٠٧٢ برقم ٢٦٩٥.

(٣) " صحيح البخاري " كتاب الأذان، باب الدعاء في الركوع ١/١٥٨ برقم ٧٩٤، و" صحيح مسلم " كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ١/٣٥٠ برقم ٤٨٤.

وصِيغةٌ أخرى جاءت في حديث عَائِشَةَ – رضي الله عنها – أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كان يَقُولُ في رُكُوعِهِ وسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ المَلَائِكَةِ والرُّوح»(١). ومعناه: مُسَبَّح مُقَدَّس، ربُّ الملائكةِ والرُّوح.

وفي حديثٍ لها آخر أنَّه ﷺ قال في رُكوعه أو سُجوده: «سُبْحَانَك وبِحَمْدِكَ لا إله إِلَّا أنت»(٢).

ووَرَدَ في الرُّكوعِ أيضًا حديثُ عَوْفِ بن مَالك ﷺ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في قيامِ الليلِ قال في رُكوعِه: «سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ والمَلَكُوتِ والكِبْرِياءِ والعَظَمَة»(٣).

٦- سُبحانَ اللهِ وبحمدِه، عددَ خلقِه، ورِضَا نَفْسِه، وزِنَةَ عَرشِه، ومِدَادَ كَلِماتِه، وفي فضلها حديث جُوَيْرِيَةَ – رضي الله عنها – أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خرج مِن عندها بُكْرَةً حين صَلَّى الصُّبحَ، وهي في مَسْجِدِها، ثُمَّ رَجَع بعد أَنْ أَضْحَى، وهي جَالِسَةٌ، فقال: «ما زِلْتِ على الحَالِ التي فَارَقْتُكِ عليها؟» قالت: نعم، قال النَّبِيُّ ﷺ: " لقد قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ

(١) " صحيح مسلم "كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ١/٣٥٣ برقم ٤٨٧.
(٢) " صحيح مسلم "كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ١/٣٥١ برقم ٤٨٥.
(٣) " سنن أبي داود " ١/٢٣٠ برقم ٨٧٣. لأبي داود السِّجِسْتاني ت: ٢٧٥هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّات، لو وُزِنَتْ بما قُلْتِ منذ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِه، عددَ خَلْقِه، ورِضَا نَفْسِه، وزِنَةَ عَرْشِه، ومِدَادَ كَلِمَاتِه "(١).

٧- ما جاء في حديث ابنِ عُمَر ﷺ، قال: بَينما نَحن نُصَلِّي مع رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ قال رَجُلٌ مِن القَوْمِ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، والحَمدُ لله كثيرًا، وسُبحَانَ اللهِ بُكْرَةً وأَصِيلا، فقال رَسولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ القَائِلُ كَلِمَةَ كَذا وكَذا؟» قَال رَجُلٌ من القَوْمِ: أَنَا يا رَسُولَ الله، قَال: «عَجِبْتُ لها، فُتِحَتْ لها أَبْوَابُ السَّمَاء» قال ابنُ عُمَر ﷺ: «فَما تَرَكْتُهُنَّ منذ سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ ذلك»(٢).

٨- سبحانَ المَلِكِ القُدُّوس، وفيها حديث أُبَيّ بنِ كَعْبٍ ﷺ، قال: كَان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا سَلَّمَ في الوِتْرِ، قَال: «سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوس»(٣).

وفي حديثِ عبدالرَّحمن بن أَبْزَى يقولُها ثلاثًا، يرْفَعُ بها صَوْتَه(٤).

وجاء في حديثِ عائشةَ - رضيَ اللهُ عنها - أنَّ النبيَّ ﷺ يقولُها عشرًا قبل شروعِه في صلاةِ الليل(٥).

---

(١) " صحيح مسلم " كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم ٤/٢٠٩٠ برقم ٢٧٢٦.

(٢) " صحيح مسلم " كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة ١/٤٢٠ برقم ٦٠١.

(٣) " سنن أبي داود " ٢/٦٥ برقم ١٤٣٠.

(٤) " مسند أحمد " ٢٤/٧٢ برقم ١٥٣٥٤ وقال الأرناؤوط: " صحيح ".

(٥) " سنن أبي داود " ٧/٤١٨ برقم ٥٠٨٥ وقال الأرناؤوط: " حسن " طبعة دار الرسالة.

فَحَرِيٌّ بالمؤمنِ أنْ يَحْفظ هذه الصيغ، وأنْ يُكْثِرَ ممَّا أُطْلِق منها، ويأتي بالمقَيَّدِ منها في موضعِه بالعددِ الوَارِدِ في النَّصِّ.

المبحث الثالث

أوجه التَّسْبِيح في القرآن

يأتي التسبيحُ في القرآنِ الكريمِ على **سبعةِ أوجه:**

الأول: التَّنزيهُ مع التَّعظيمِ، وأكثرُ ما وَرَدَ في القرآن، والمرادُ عند الإطلاق، ومنه قولُ الله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾الصافات: ١٥٩

الثاني: الصَّلاة، قال الله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾طه: ١٣٠ فالتسبيح هنا مستعمل في الصلاة لاشتمالها على تسبيح الله وتنزيهه.[١]

قال الطبري: " يقول جلّ ثناؤه لنبيه: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) يقول: وصل بثنائك على ربك، وقوله: (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) وذلك صلاة الصبح (وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) وهي العصر (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ) وهي ساعات الليل، ويعني بقوله (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ) صلاة العشاء الآخرة، لأنها تصلى بعد مضيّ آناء من الليل. وقوله (وَأَطْرَافَ النَّهَارِ) : يعني صلاة الظهر والمغرب، وقيل: أطراف النهار، والمراد بذلك الصلاتان اللتان ذكرتا، لأن صلاة الظهر في آخر طرف النهار الأول، وفي أوّل طرف النهار الآخر، فهي في طرفين منه، والطرف الثالث: غروب الشمس، وعند ذلك تصلى المغرب، فلذلك قيل أطراف، وقد

(١) " التحرير والتنوير " ٣٣٧/١٦.

يحمل أن يقال: أريد به طرفا النهار. وقيل: أطراف، كما قيل (صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) فجمع، والمراد: قلبان، فيكون ذلك أول طرف النهار الآخر، وآخر طرفه الأول"[١]

الثالث: الدُّعَاء، ومنه قولُ الله تعالى : ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمّ﴾ يونس: ١٠

ومنه أيضًا قوله تعالى:﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٧

يُفَسِّرُه قولُ النَّبيّ ﷺ: "دَعْوَةُ ذي النُّونِ إِذْ دَعا و في بَطنِ الحُوت: لَا إله إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ من الظَّالِمين، فَإِنَّهُ لم يَدْعُ بها رَجُلٌ مُسلم في شيءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَاب اللَّهُ له "[٢].

الرابع: يُطْلَق على عُمُومِ الذِّكرِ، ومنه قولُ الملائكةِ – عليهم السلام –:﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ البقرة: ٣٠

يعني: إنَّا نُعَظِّمُكَ بالحَمدِ لك والشُّكرِ، وكُلُّ ذكرٍ للهِ عند العربِ فتَسْبِيحٌ وصَلَاة. يقولُ الرَّجلُ منهم: قَضَيْتُ سُبْحَتِي من الذِّكرِ والصَّلاة، وقد قِيل: إنَّ التَّسْبيحَ صَلَاةُ المَلَائكة[٣].

(١) " تفسير الطبري " ٤٠١/١٨ لمحمد بن جرير، أبو جعفر الطبري ت: ٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

(٢) " سنن الترمذي " ٥٢٩/٥ برقم ٣٥٠٥، وقال الترمذي حديث حسن غريب.

(٣) " تفسير الطبري " ٤٧٢/١.

الخامس: يُطْلَق على عمومِ العِبادةِ، ومنه قول الله ﷻ:﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾الصافات: ١٤٣ – ١٤٤ عن وَهْبِ بن مُنبه: قال: مِن العَابِدين[١].

السادس: يُطْلَق على الاستثناء، ومنه قولُ الله ﷻ:﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾القلم: ١٧ – ١٨، والمرادُ به قولُ: إنْ شاء الله، لكنْ دَلَّتِ الآياتُ على أنَّهم كانوا يُسَبِّحُون مكانَها ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ القلم: ٢٨ قال السدي: كان استثناؤهم في ذلك الزَّمَان التَّسبيح[٢].

فيقولون: سُبحانَ الله، بَدَل: إنْ شَاء الله، فقولُه:ُ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ، أي: تستثنون.

وفي الاستثناء ذكر الله ﷻ وتعظيمه، والافتقار إليه، واستعانة به سبحانه، وأن إرادة البشر تحت مشيئته ﷻ، وقد سمي الاستثناء في القرآن ذكرًا في قول الله ﷻ:﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ الكهف: ٢٣ – ٢٤.

---

(١) " تفسير عبد الرزاق " ١٠٣/٣ برقم ٢٥٥٧ لأبي بكر عبد الرزاق اليماني الصنعاني ت: ٢١١هـ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

(٢) " تفسير ابن أبي حاتم " ٣٣٦٦/١٠ برقم ١٨٩٥٢ لأبي محمد الرازي، ابن أبي حاتم ت: ٣٢٧هـ، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ، و" تفسير الطبري " ٥٥١/٢٣.

السابع: يُطْلَق على ظُهورِ أَثَرِ الصَّنعةِ والخَلْق، و قوله:﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ الإسراء: ٤٤، يعني: ما ظَهَرَ فيها من آثارِ الصُّنْعِ الدَّالِّ على التَّوحيد.

قال الماوردي: " أن تسبيح ذلك ما يظهر فيه من لطيف صنعته وبديع قدرته الذي يعجز الخلق عن مثله فيوجب ذلك على من رآه تسبيح الله وتقديسه [١]

(١) ينظر: " النكت والعيون " ٢٤٥/٣، و" الكشاف " ٦٦٩/٢.

المبحث الرابع

مقاصد التسبيح وأهدافه

والملاحظُ أنَّ صيغَ التسبيحِ القرآني حسب سياقاتِها تنتظمُ في أمور، استخرجتُ منها بالاستقراء ، ما يلي:

الأول: إثباتُ وحدانيةِ الله ﷻ، وتنزيهه عن افتراءاتِ المشركين من زَعْمِ الصَّاحبةِ والولدِ والشَّريكِ له ﷻ، و أكثرُ ما جاء التسبيحُ فيه، ومنه قول الله ﷻ:

قال تعالى :﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ المؤمنون: ٩١

وذلك أنَّه ﷻ مُسْتَغنٍ عن خلقِه، فهو ذو العزة، قال تعالى :﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الصافات: ١٨٠

الثاني: إثباتُ أنه ﷻ، لا خالقَ غيرُه، وهذا يستوجبُ تسبيحَه شكرًا له على نِعمه التي أنعم بها على عباده، ومنه قولُ الله تعالى:

قال تعالى :﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يس: ٣٦

وقال تعالى :﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُوره ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ الزخرف: ١٢ – ١٣

الثالث: إثباتُ حكمةِ اللهِ ﷻ في أفعالِه، وتنزيهه ﷻ عن العَبَثِ، ومن ذلك قولُ الله تعالى: قال تعالى :﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ آل عمران: ١٩١

وأنَّ أفعالَه لا تكونُ على أَمْزِجَةِ خلقِه، كما دلَّ عليه الأمرُ بالتسبيحِ في قوله تعالى: قال تعالى :﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ الإسراء: ٩١ – ٩٣

الرابع: إثباتُ عدلِه ﷻ، وتنزيهُه عن الظُّلمِ، ومنه قولُ يونس عليه السلام:

قال تعالى :﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء: ٨٧

الخامس: إثباتُ قدرةِ الله تعالى، ونفي العجزِ عنه ﷻ، ومنه:

قال تعالى :﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الزمر: ٦٧ ، وقوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾الإسراء: ١

السادس: إثباتُ صِدقِ الله ﷻ في قولِه ووعدِه، وتنزيهه عن الكذبِ والإخلاف، ومنه قولُ الله تعالى:﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ النحل: ١

السابع: تنزيهُ اللهِ ﷻ عن نِسْبَةِ الشَّرِّ إليه ﷻ، ومنه قولُ الله تعالى:

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ النور: ١٦ ، أي: تنزيهًا لك من كلِّ سُوءٍ، وعن أنْ تَبْتَلِيَ أصفياءَك بالأمورِ الشَّنِيعَة[١].

الثامن: دوامُ تنزيهِه ﷻ عن كلِّ نقصٍ أو شريكٍ في كلِّ حالٍ وأَوَانٍ، ومنه قولُ الله تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ الروم: ١٧

(١) " تفسير السعدي " ص ٥٦٣.

المبحث الخامس

حُكْم التَّسْبِيح

ما درجة مشروعية التسبيح؟ هل فرض أم مستحب؟

جاء الأمرُ بالتَّسبيحِ في ثماني عشرة آية من القرآنِ كما بينا منها:

قال تعالى :﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ الحجر: ٩٨

وقال تعالى :﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ الواقعة: ٧٤

وقال تعالى :﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾: الأعلى: ١

والأمرُ بالتَّسبيحِ إمَّا أنْ يُحْمَلُ على الوجوبِ أو النَّدبِ، وقد دَلَّتِ السُّنَّةُ النَّبويَّةُ على كِلا الأمرين:

١- فأمرُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بالتَّسبيحِ في الصَّلاةِ أمرُ وجوبٍ، وذلك لما في حديثِ عُقْبَةَ بن عَامر ﷺ، قال: لما نَزَلَت: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ الواقعة: ٧٤. قَال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " اجْعَلُوها في رُكُوعِكم "، فلمَّا نَزَلَت: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الأعلى: ١ قَال: " اجْعَلُوها في سُجُودِكُم "[(١)].

قال الخطابي معلقا على الحديث: " وفي هذا دلالة على وجوب التسبيح في الركوع والسجود لأنه قد اجتمع في ذلك أمر الله وبيان الرسول صلى الله عليه وسلم وترتيبه في موضعه من الصلاة فتركه غير جائز، وإلى إيجابه ذهب إسحاق، ومذهب أحمد قريب

(١) " مسند أحمد " ٦٣٠/٢٨ برقم ١٧٤١٤، وقال الأرناؤوط: إسناده مُحْتمل للتَّحْسِين.

منه. وروي عن الحسن البصري نحوا منه، فأما عامة الفقهاء: مالك وأصحاب الرأي والشافعي فإنهم لم يروا تركه مفسدا للصلاة"(١).

٢- ونَدَبَ النبيُّ ﷺ إلى التَّسبيحِ المطْلَقِ والتَّسبيحِ المقَيَّدِ بأَدْبَارِ الصَّلوات، أو بالصَّباحِ والمساء، وبيَّن ما فيه من الثَّوَاب، كما سنوضحه في ذكر التسبيح في السنة.

حكم التسبيح لغير الله تعالى:

قال العز بن عبد السلام: " التَّسبيحُ: التنزيهُ من السُّوءِ على وجهِ التَّعظيمِ، فلا يُسبَّحُ غيرُ الله ﷻ؛ لأنَّه قد صار مُسْتَعملًا في أعلى مراتبِ التعظيمِ التي لا يَسْتَحِقها سواه."

قال الماوردي: ولا يجوزُ أنْ يُسبَّحَ غيرُ الله، وإنْ كَان مُنَزَّهًا؛ لأنَّه صَار عَلَمًا في الدِّين على أَعلى مَرَاتبِ التَّعظيمِ التي لا يَسْتَحِقُّها إلا اللهُ ﷻ(٢).

وأكد على ذلك الشيخ الطاهر بن عاشور فقال رحمه الله: " التسبيحُ: التنزيهُ عن النَّقائص، ومن الأسماءِ التي لا تُضَافُ لغيرِ اسمِ الله ﷻ، وكذلك الأفعالُ المشْتَقَّة منه لا تُرْفَع ولا تُنْصَب على المفعولية إلا ما هو اسم الله، وكذلك أسماءُ المصدرِ منه، نحو: سُبْحَانَ الله(٣).

(١) ينظر: " معالم السنن " ٢١٣/١، وانظر أيضا: " إكمال المعلم بفوائد مسلم " ٣٩٦/٢.
(٢) " النكت والعيون " ٩٧/١ لأبي الحسن، الشهير بالماوردي ت: ٤٥٠هـ، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
(٣) " التحرير والتنوير " ٢٧٣/٣٠.

وقال السعدي: كلمة " سُبحان " كلمةٌ مُمْتَنِعةٌ، لا يجوزُ أنْ يُوصَفَ بها غيرُ الله ﷻ؛ لأنَّ المبَالغةَ في التَّعظيمِ لا تَليقُ لغيرِ الله[1].

وقد جاء عن عليّ وابنِ عباس ﷺ أنَّ (سُبْحَانَ الله) كلمةٌ رَضِيَها اللهُ ﷻ لنفسِه[2].

– التَّسبيحُ اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ:

فالتسبيح يطلق ويراد به تنزيه الله؛ فهو اعتقاد، ويطلق ويراد به الذكر باللسان؛ فهو قول، ويطلق ويراد به الصلاة؛ فهو عمل.

قال الرازي: " التنزيه المأمور به يتناول التنزيه بالقلب، وهو الاعتقاد الجازم وباللسان مع ذلك، وهو الذكر الحسن وبالأركان معهما جميعا وهو العمل الصالح، والأول هو الأصل، والثاني ثمرة الأول والثالث ثمرة الثاني، وذلك لأن الإنسان إذا اعتقد شيئا ظهر من قلبه على لسانه، وإذا قال ظهر صدقه في مقاله من أحواله وأفعاله، واللسان ترجمان الجنان، والأركان برهان اللسان، لكن الصلاة أفضل أعمال الأركان، وهي مشتملة على الذكر باللسان والقصد بالجنان، وهو تنزيه في التحقيق. "[3]

(١) " تفسير السمعاني " ٢١٢/٣.

(٢) " الدر المنثور " ٢٦٩/١ لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ت: ٩١١هـ
الناشر: دار الفكر – بيروت.

(٣) " مفاتيح الغيب " ٨٦/٢٥.

فالصلاةَ تُسَمَّى تسبيحًا، وهي تشملُ اعتقادَ القلبِ وعمله، وقولَ اللسان، وعملَ الجوارح، وقال اللهُ ﷻ حكايةً عن يونسَ عليه السلام:﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ الصافات: ١٤٣ أي: المصَلِّين.

قال الطبري: " (فَلَوْلا أَنَّهُ) يعني يونس (كَانَ مِنَ) المصَلِّينَ لله قبل البلاء الذي ابتُلي به من العقوبة بالحبس في بطن الحوت."

وقال ابنُ عاشور: والتَّسبيحُ قولٌ أو مجموعُ قولٍ مع عملٍ يدلُّ على تعظيمِ اللهِ تعالى وتنزيهه؛ ولذلك سُمِّيَ ذكرُ الله تَسبيحًا، والصَّلاة سُبْحَة، ويُطْلَق التَّسبيحُ على قول: سبحان الله؛ لأنَّ ذلك القولَ من التَّنْزِيه(١).

❁❁❁

(١) " تفسير الطبري "٢١/١٠٨، و" التحرير والتنوير " ١/٤٠٥.

المبحث السادس

أهمية التسبيح

وتكمن أهمية التسبيح في تسبيح الله لنفسه، ذَكَرَ اللهُ ﷻ في كتابه العزيز تسبيحَه لنفسه، وفي السطور التالية سنقف – بإذن الله تعالى – مع الآيات التي ذكرت تسبيحه وتسبيح ملائكته.

أولا - تسبيحُ اللهِ ﷻ نفسه في القرآن:

١ – تنزيه الله ﷻ نفسه عن اتخاذ الولد:

نزّه الله تعالى ذاته الكريمة إثر إخباره عن قول اليهود والنصارى ومشركي العرب بأنّه اتخذ ولدا؛ فاليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالت: المسيح ابن الله، ومشركو العرب قالوا: إنّ الملائكة بنات الله. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. فأكذب الله جميعهم منزهًا ذاته العليّة عن دعواهم باتخاذه الولد بقوله: (سبحانه):﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ البقرة: ١١٦ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾النساء: ١٧١ ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هو الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يونس: ٦٨ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُون ﴾الأنبياء: ٢٦

قال ابن عاشور: وفيه إشارة إلى أنّ الولديّة نقص في حق الله تعالى وكمال شأنه؛ وإن كانت كمالا في حقّ غيره من حيث إنّها تسدّ بعض نقائصه عند عجزه وفقره وتسدّ مكانه عند اضمحلاله وذهابه، والله منزه عن جميع ذلك، ولو كان له ولد لآذن بالحدوث وبالحاجة إليه. (١)

٢- تنزيه الله ﷻ نفسه عن أنَّ له البنات:

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾النحل: ٥٧

نزّه - جلّ جلاله - بذلك نفسه عما أضافوا إليه ونسبوه من البنات، فلم يرضوا بجهلهم إذ أضافوا إليه ما لا ينبغي إضافته إليه، ولا ينبغي أن يكون له من الولد أن يضيفوا إليه ما يشتهونه لأنفسهم ويحبونه لها، ولكنهم أضافوا إليه ما يكرهونه لأنفسهم ولا يرضونه لها من البنات ما يقتلونها إذا كانت لهم. (٢)

٣- تنزيه الله ﷻ نفسَه عن أنَّ يكون بينه وبين الجِنَّة نسبا:

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾الصافات: ١٥٨ - ١٥٩

(١) " التحرير والتنوير " ٦٨٥/١.

(٢) " تفسير الطبري "٢٢٧/١٧.

قال الماتريدي: " قال عامة أهل التأويل: إن الجنة هم الملائكة؛ لقول أُولَئِكَ الكفرة: إن الملائكة بنات الله، وما قالوا في قوله: (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ)، أي: علمت الجن الذين وصفوا له بنين إنهم لمحضرون النار وعذاب الله، ويحاسبون. (١)

فنَزَّهَ الله سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ فَقَالَ: سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُون.

٤- تنزيه الله ﷻ نفسه عن الشريك:

نزه الله ﷻ نفسه - بلفظ التسبيح - عن أن يكون له شريك يشاركه في الخلق أو الملك أو الحكم.

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ الإسراء: ٤٢ - ٤٣

قَالَ ابْنُ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: " لَطَلَبُوا مَعَ اللَّهِ مُنَازَعَةً وَقِتَالًا كَمَا تَفْعَلُ مُلُوكُ الدُّنْيَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ". فنَزَّهَ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ وَقَدْسَهُ وَمَجْدَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ. (٢)

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ المؤمنون: ٩١

(١) " تفسير الماتريدي " ٥٩١/٨، وانظر أيضا: " تفسير الطبري "١٢٢/٢٠.
(٢) ينظر: " تفسير القرطبي "٢٦٦/١٠.

٥- تنزيه الله ﷻ نفسه عن النقائص:

من خلال بيان عظمته وقدرته ، سبح الله ﷻ نفسه في كتابه العزيز عن كل ما نسبه إليه الكافرون المفترون، وعن كل ما قد يظنه المبطلون من نقص أو عجز أو سوء، ومجَّد ﷻ نفسه ببيان بعض مظاهر قدرته وعظمته، وبيان بعض أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يس: ٣٦ ، نَزَّهَ نَفْسَهُ سُبحَانَه عن قَولِ الكُفَّارِ، إِذْ عَبَدُوا غَيْرَهُ مَع ما رَأَوْهُ مِن نِعَمِهِ وآثَارِ قُدْرَتِه. وفِيهِ تَقْدِيرُ الأَمرِ، أَي سَبِّحُوهُ ونَزِّهُوهُ عَمَّا لا يَلِيقُ بِه. وقِيل: فِيه مَعنى التَّعَجُّب، أَي عَجَبًا لهَؤُلَاءِ فِي كُفْرِهِم مَع ما يُشَاهِدُونَهُ مِن هذه الآيَات، ومَنْ تعجب من شيء قَال: سُبحانَ اللَّه. (١)

ولما تقررت الوحدانية والإعادة وأنكروها وقالوا بأن غير الله آلهة، قال تعالى وتنزه عن الشريك ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ يس: ٨٣

الذي بيده ملكوت كل شيء، وكل شيء ملكه فكيف يكون المملوك للمالك شريكا، وقالوا بأن الإعادة لا تكون، فقال: وإليه ترجعون ردا عليهم في الأمرين، وقد ذكرنا ما يتعلق بالنحو في قوله: سبحان، أي سبحوا تسبيح الذي أو سبح من في السموات والأرض تسبيح الذي فسبحان علم للتسبيح، والتسبيح هو التنزيه، والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت.(٢)

(١) ينظر: " تفسير القرطبي "١٥/٢٦.

(٢) ينظر: " تفسير الرازي "٢٦/٣١١.

قال تعالى:﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الزمر: ٦٧

ما قدرُوا عظمتَه تعالى في أنفسهم حقَّ عظمتِه حيثُ جعلُوا له شريكًا ووصفُوه بما لا يليق بشئونه الجليلةِ {سُبْحَانَهُ وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ} ما أبعدَ وما أعلى مَنْ هذه قدرتُه وعظمتُه عن إشراكِهم أو عمَّا يُشركونه من الشُّركاء. (١)

هذه هي المواضع من كتاب الله ﷻ التي ورد فيها تسبيح الله ﷻ لنفسه بلفظ التسبيح الصريح، وقد رأينا أن التسبيح فيها كان بمعنى تنزيه الله ﷻ نفسه عن كل ما لا يليق به سبحانه؛ فنزه ﷻ نفسَه عن اتخاذ الولد، ونزه نفسه عن اتخاذ الشريك، ونزه نفسه عن المثيل والشبيه، وسمَّى ﷻ نفسَه بأعظم الأسماء وأحسنها، ونبه ﷻ عباده على بعض مظاهر قدرته وعظمته وجبروته، وفي ذلك توجيه عظيم للعباد بأن يعظموا ربهم، ويسبحوه، ولا يغفلوا عن ذِكره ﷻ طرفة عين...

ثانيا - تسبيحُ الملائكةِ – عليهم السلام – لله تعالى في القرآن:

الملائكةُ خلقٌ من خلقِ الله ﷻ، وهم عباد مكرمون، خلقهم سبحانه لعبادته؛

قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾الأعراف: ٢٠٦

كأنه قيل: من هو أكبر منك أيها الإنسان لا يستكبر عن عبادة الله (٢)

(١) ينظر: " تفسير أبي السعود "٢٦٢/٧.

(٢) " التفسير البسيط " ٥٧٦/٩.

قال تعالى:﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ الأنبياء: ١٩ – ٢٠

ينزهون الله دائمًا بقولهم سبحان الله {لَا يَفتُرُونَ} لا يضعفون ولا يملون. (١)

والملائكة تسبح ربها ﷻ تسبيحًا دائمًا متواصلًا من غير انقطاع ولا فتور ولا سآمة.

قال تعالى:﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ فصلت: ٣٨، وقد ذُكرَ بأنَّ تسبيحَهم كالنَّفَسِ لنا، لا يَشْغَلُهم عن مُهِمَّاتِهم كما لا يَشْغَلُنا التَّنَفُسُ عنها(٢).

لقد أخبر القرآن الكريم عن تسبيح الملائكة على العموم، وأخبر كذلك عن تسبيحِ حملة العرش والحافين من حوله من الملائكة على الخصوص.

قال تعالى:﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الزمر: ٧٥

قال تعالى:﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ غافر: ٧

الملائكة تسبح ربها ﷻ من هيبته وإجلاله ورهبته.

---

(١) " التفسير البسيط " ٤٥/١٥.

(٢) " تفسير الطبري " ٤٢٣/١٨.

قال تعالى:﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ الرعد: ١٣

والملائكة يسبحون الله ﷻ تنزيهًا له عن شرك المشركين وافتراء الكافرين الذين عبدوهم من دون الله ﷻ، فقد أخبر الله ﷻ بأنهم سيتبرؤون يوم القيامة من عبادة أولئك المشركين لهم، وينزهون الله بالتسبيح له عما فعل هؤلاء المجرمون.

قال تعالى:﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ سبأ: ٤٠ – ٤١

والمقصد من ذكر تسبيح الملائكة: أن الله ﷻ له عباد يذعنون له وينقادون لأوامره {وَيُسَبِّحُونَهُ} الليل والنهار لا يفترون. {وَلَهُ} وحده لا شريك له {يَسْجُدُونَ} فليقتدِ العباد بهؤلاء الملائكة الكرام، وليداوموا على عبادة الملك العلام.(١)

❁ ❁ ❁

(١) " تفسير السعدي " ص٣١٤.

الفصل الثاني

نماذج قرآنية للمسَبِّحين

المبحث الأول

تسبيحُ الأنبياء – عليهم السلام – في القرآن

الأنبياء – عليهم السلام – هم صفوة البشر، وأكملهم علمًا وعقلًا وخلقًا، وأعظمهم عبادة وتسبيحًا وتقديسًا لله ﷻ؛ اعتقادًا وقولًا وعملًا؛ وقد ذكر الله ﷻ في كتابه تسبيح بعض أنبيائه، وذلك في سياق ما قصَّه ﷻ من قصصهم وأخبارهم، مع الآيات التي ورد فيها ذلك، ونحن مطالبون تجاه النبي صلى الله عليه وسلم بالتأسي وتجاه الأنبياء بالاقتداء قال تعالى :﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾الأحزاب: ٢١ قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ الأنعام: ٩٠

١– تسبيحُ النبي محمد ﷺ:

أمر الله ﷻ نَبِيَّنَا محمدًا ﷺ في آياتٍ كَثيرةٍ أن يُداوم على التسبيح ويقرنه مع الأمر بالصبر، لأن التسبيح معينٌ على الصبر، وأن في ملازمة التسبيح كشفًا للضيق.

قال تعالى :﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ طه: ١٣٠

قال تعالى :﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾ ق: ٣٩ – ٤٠

قال تعالى :﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ الطور: ٤٨ – ٤٩

وقال محمدٌ ﷺ:﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف: ١٠٨

ولقد امتثل النبي ﷺ وصيةَ ربّه وتخلّق بكل أمر في القرآن واستجاب لأمر الله:

فكان يسبح عند قراءة آية فيها تسبيح، عن حذيفة ﷺ قال: صليتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مُترسِّلا، إذا مَرَّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مَرَّ بسؤال سأل، وإذا مَرَّ بتعوذ تعوذ، ثم ركع، فجعل يقول: «سبحان ربي العظيم»، فكان ركوعه نحوا من قيامه، ثم قال: «سمع الله لمن حمده»، ثم قام طويلا قريبا مما ركع، ثم سجد، فقال: «سبحان ربي الأعلى»، فكان سجوده قريبا من قيامه.(١)

(١) " صحيح مسلم " كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ٧٧٢ ٥٣٦/١.

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي " يتأول القرآن.(١) قوله تعالى:﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ النصر: ٣

٢– تسبيح يونسُ عليه السلام:﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾الأنبياء: ٨٧ ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِين ﴾ الأنبياء: ٨٧ – ٨٨

أي: واذكر عبدنا ورسولنا ذا النون، وهو: يونس، أي: صاحب النون، وهو الحوت، بالذكر الجميل، والثناء الحسن، فإن الله تعالى أرسله إلى قومه، فدعاهم، فلم يؤمنوا فوعدهم بنزول العذاب بأمدٍ سمَّاه لهم، فجاءهم العذاب ورأوه عيانا، فعَجُّوا إلى الله، وضجُّوا وتابوا، فرفع الله عنهم العذاب كما قال تعالى:﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ يونس: ٩٨

وهذه الأمة العظيمة، التي آمنت بدعوة يونس، من أكبر فضائله، ولكنه عليه السلام ذهب مغاضبا، وأبق عن ربه لذنب من الذنوب، التي لم يذكرها الله لنا في كتابه، ولا حاجة لنا إلى تعيينها [لقوله: {إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ} {وَهُوَ مُلِيمٌ} أي: فاعل ما يلام

(١) " صحيح مسلم "كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ٤٨٤ ١/٣٥٠.

عليه والظاهر أن عجلته ومغاضبته قومه وخروجه من بين أظهرهم قبل أن يأمره الله بذلك، ظن أن الله لا يقدر عليه، أي: يضيق عليه في بطن الحوت أو ظن أنه سيفوت الله تعالى، ولا مانع من عروض هذا الظن للكَمَلةِ من الخلق على وجه لا يستقر، ولا يستمر عليه، فركب في السفينة مع أناس، فاقترعوا من يلقون منهم في البحر لما خافوا الغرق إن بقوا كلهم؟ فأصابت القرعة يونس، فالتقمه الحوت، وذهب به إلى ظلمات البحار، فنادى في تلك الظلمات: {لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} فأقر لله تعالى بكمال الألوهية، ونزهه عن كل نقص، وعيب وآفة، واعترف بظلم نفسه وجنايته.

قال الله تعالى: {فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} ولهذا قال {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ} أي الشدة التي وقع فيها {وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} وهذا وعد وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة وغم أن الله تعالى سينجيه منها ويكشف عنه ويخفف لإيمانه كما فعل بـ " يونس " عليه السلام. (١)

٣- تسبيح موسى عليه السلام: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

قال تعالى:﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا

(١) تفسير السعدي ص ٥٢٩، و تفسير ابن كثير ٣٦٦/٥.

وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: ١٤٣

يُخبر اللهُ ﷻ عن موسى عليه السلام لما جاء في الوقت المحدد – تمام أربعين ليلة – وكلَّمه ربه بما كلَّمه من وحيه وأمره ونهيه، طمع في رؤية الله ﷻ فطلب النظر إليه، قال الله له: لن تراني، أي لن تقدر على رؤيتي في الدنيا، ولكن انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه – إذا تجلَّيتُ له – فسوف تراني، فلما تجلَّى ربه للجبل جعله دكًّا مستويًا بالأرض، وسقط موسى مغشيًّا عليه، فلما أفاق من غشيته قال: تنزيهًا لك يا رب عما لا يليق بجلالك، إني تبت إليك من مسألتي إياك الرؤية في هذه الحياة الدنيا، وأنا أول المؤمنين بك من قومي. (١)

٤– تسبيح داود عليه السلام: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ ص: ١٨

قال تعالى:﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء: ٧٩

قال تعالى :﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ سبأ: ١٠

قال تعالى : ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ ص: ١٨ – ١٩

(١) ينظر: تفسير الطبري ٩١/١٣.

فهذه الآيات الثلاث بينت تسبيح نبي الله داود عليه السلام حيث كان إذا سبح الله عز وجل وأثنى عليه، سبحت بتسبيحه الجبالُ والطير، وجاوبته بالذكر والثناء على الله تبارك وتعالى.

والمعنى: أن داوود عليه السلام كان إذا سبح بين الجبال سمع الجبالَ تسبح مثل تسبيحه. وهذا معنى التأويب، إذ التأويب الترجيع، مشتق من الأوب والرجوع، وكذلك الطير إذا سمعت تسبيحه تغرد تغريدا مثل تسبيحه وتلك كلها معجزة له. (١)

٥- **تسبيح عيسى عليه السلام**:﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقّ ﴾

المائدة: ١١٦

قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾المائدة: ١١٦

ويكون هذا يوم القيامة، يوم يجمع الله الرسل ويسألهم ماذا أجبتم؟ ويسأل عيسى عليه السلام بمفرده توبيخًا للنصارى – الذين اتخذوه إلهًا – على شركهم، فيقول الله عز وجل هذا لعيسى عليه السلام فيتبرأ من شركهم ومن مقولتهم الكفرية، وينزه اللهَ عز وجل عن ذلك بالتسبيح له سبحانه.(٢)

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٢٠/١٧.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ٢٣٢/٣.

٦-تسبيح زكريا عليه السلام:

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ آل عمران: ٤١

فأمر الله ﷻ زكريا عليه السلام بالتَّسبيح: چ وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ چ حينما طلب من الله ﷻ أن يهب له ذرية طيبة، فاستجاب الله ﷻ دعاءه، وبشَّره بالولد على لسان الملائكة، وحينها قال زكريَّا عليه السلام: رب اجعل لي علامةً أستدلُّ بها على وجود الولد مني؛ ليحصل لي السرور والاستبشار، قال: علامتك التي طلبتها: ألا تستطيع التحدث إلى الناس ثلاثة أيام إلا بإشارة إليهم، مع أنك سويٌّ صحيح، وفي هذه المدة أكثِرْ من ذكر ربك، وصلِّ له أواخر النهار وأوائله.

وأمر زكريا عليه السلام قومَه بالتسبيح:﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ مريم: ١١[(١)]

(١) ينظر: تفسير القرطبي ٤/٨٠.

المبحث الثاني

تسبيحُ المؤمنين في القرآن

تسبيح الله ﷻ من هدي أصفياء الله المرسلين، ودأب عباد الله المؤمنين، وشغل أوليائه المتقين، وقد ذكر الله ﷻ في كتابه تسبيحَ عباده المؤمنين له ﷻ، وذلك في عدد من الآيات التي مدحت المسبحين، والتي أمرت المؤمنين بالمداومة على التسبيح.

١- مدح المسبحين من المؤمنين:

جاءت عدة آيات في كتاب الله ﷻ تمدح المؤمنين الذين يسبحون الله ﷻ

قال تعالى:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

آل عمران: ١٩٠ - ١٩١

هذه الآيات التي بثها الله ﷻ في السماوات والأرض إنما يعقلها أولو الألباب والنهى، الذين استنارت قلوبهم بنور الإيمان، فأبصرت حقيقة الأشياء، إنهم المؤمنون الموقنون، الذين يتفكرون في خلق الله ﷻ، ويقفون على آياته؛ فيزيدهم ذلك إيمانًا على إيمانهم، فتخشع قلوبهم، وتنشط ألسنتهم بذكر ربهم وتسبيحه في كل أحوالهم.

قال تعالى ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ الإسراء: ١٠٧ – ١٠٨

ففي هاتين الآيتين يخبر الله ﷻ أن العلماء الذين أوتوا الكتب السابقة من قبل القرآن، وعرفوا حقيقة الوحي من مؤمني أهل الكتاب إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرون سجدًا تعظيمًا وتبجيلا لله ﷻ على قدرته التامة، وأنه لا يخلف الميعاد.

قال تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ النور: ٣٦ – ٣٨

ففي هذه الآية مدحٌ لأولئك المسبحين لربهم ﷻ، الذين استنارت قلوبُهم بنور الوحي، ولم تلههم الدنيا وما فيها من تجارة وبيع ومتاع عن عبادة ربهم، وعن صلاتهم وزكاتهم وتسبيحهم، وقد وعدهم الله ﷻ بحسن الجزاء وعظيم الثواب، مع الزيادة بغير حساب؛ لأنهم قدموا طاعته ورضاه على كل ما سواه.

قال تعالى :﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾السجدة: ١٥

فلقد أثنى الله ﷻ على هؤلاء المؤمنين الذين يؤمنون بآياته، ووصفهم بالصفة الحسنى بسجودهم عند التذكير والوعظ بآياته، وبتسبيحهم لربهم، وعدم استكبارهم، بخلاف ما يصنع الكفار من الإعراض عند التذكير، وإظهار التكبر.

٢- أمر الله المؤمنين بالمداومة على التسبيح:

لقد أمر الله ﷻ عباده المؤمنين بأن يسبحوه بكرةً وأصيلًا، في الصباح والمساء، في الشدة والرخاء، في كل أوقاتهم، وعلى كل أحوالهم ، قال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾الأحزاب: ٤١ - ٤٢

٣- تسبيح المؤمنين لربهم ﷻ علي نعمه عليهم:

قال تعالى :﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ الزخرف: ١٢ - ١٣

ففي هاتين الآيتين: يُذكّر الله ﷻعبادَه ببعض نعمه عليهم؛ من تسخير الفلك التي تحملهم في البحار بما ينفعهم، وتسخير الدواب والأنعام ليأكلوا منها ويركبوا على ظهرها، وأمر ﷻ بأن يذكروا هذه النعم العظيمة عليهم، ويسبحوا ربهم ﷻ شكرًا على هذه النعم، وذلك حين التلبس بمنافعها والاستواء على ظهرها.

٤- تسبيح المؤمنين لربهم ﷻ في الجنة:

فتسبيح المؤمنين لربهم ﷻ لا ينتهي بانتهاء الدنيا؛ بل يبقى معهم في دار الخلد والنعيم قال تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾يونس: ٩ – ١٠

فهنيئًا لمنْ أكثرَ من التَّسبيحِ في الدُّنيا ووَجَدَ لَذَّةً فيه، وفَرَحًا به، فإنَّه حَرِيٌّ أنْ يَتَلَذَّذَ بالتَّسبيحِ في الجَنَّةِ كما تَلَذَّذَ به في الدنيا، وقد جاء في الأحاديثِ الصَّحيحةِ أنَّ أهلَ الجنَّةِ يُلْهَمُون التَّسبيح، وأنَّهم يُسَبِّحُون اللهَ ﷻ بُكرةً وعَشِيًّا.

المبحث الثالث

تسبيحُ بقية المخلوقات في القرآن

لقد أسند الله ﷻ في كتابه العزيز التسبيح إلى أصناف مخلوقاته جميعًا؛ من الحيوانات والنباتات والجمادات، العاقلة منها وغير العاقلة، والناطقة وغير الناطقة، وكل شيء مما خلق الله ﷻ في السماوات أو في الأرض أو فيما بينهما من المخلوقات التي لا يحيط بعلمها، ولا يعلم عددها إلا الله ﷻ الذي خلقها، والذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا.

١- تسبيحُ الجبالِ والطَّيرِ:

قال تعالى :﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ الأنبياء: ٧٩

قال تعالى :﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ النور: ٤١

٢- تسبيحُ الرَّعدِ:

قال تعالى :﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾الرعد: ١٣

أهل التفسير يقولون: الرّعد اسم ملك فهذا حقيقة، وقيل: إنّه مجاز وأنه الصّوت فيكون معنى يسبح يدلّ على تنزيه الله ﷻ من الأشباه فنسب التسبيح إليه مجازا.(١)

(١) " إعراب القرآن للنحاس " ٢/٢٢١.

قال السمعاني: " أَكثر المفَسرين أَن الرَّعد ملك، والمسموع من الصَّوْت تسبيحه، وهَذَا مَرْوِيّ عَن النَّبِي ﷺ حِين سَأَلَهُ الْيَهُود عَن الرَّعْد، وَذكر فِيهِ أَن الصَّوت هُوَ زَجره للسحاب، وَقد حُكيَ هَذَا عَن ابن عَبَّاس وَعلي وَمُجاهد وسَعِيد بن جُبَير والحسن. وعَن قَتَادَة قَالَ: هَذَا عبدٌ للهِ تعالى سامع مُطِيع. "(١)

قد ورد فيه حديث عن ابن عباس ﷺ قال: (كنّا مع عمر ﷺ في سفر، فأصابنا رعدٌ وبرد فقال لنا كعب ﷺ: من قال حين يسمع الرعد: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاث مرات، عوفي من ذلك الرعد، قال: فقلنا فعوفينا) (٢)

٣- تسبيحُ كلِّ المَوْجُوداتِ:

قال تعالى :﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وهوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾الحشر: ١

قال تعالى :﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ الإسراء: ٤٤

وهذه الآيةُ تدلُّ على أنَّه تسبيحٌ حقيقيٌّ على كيفية لا يعرفُها البَشَرُ، فلا يفقهن تسبيحَ هذه المخلوقات، وقد أخطأ من تأوَّلَ تسبيحَها لمعنى غيرِ التَّسبيحِ المعدِ في اللُّغة.

(١) ينظر: " تفسير السمعاني " ٨٣/٣، وانظر أيضا: " تفسير الطبري " ٣٣٨/١ ، ٣٤١.

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة ٩٨٦/٢ ١٩٥٣، والطبراني في الدعاء ص ٣٠٤٩٨٥، وعلق عليه ابن علان في الفتوحات الربانية ٢٨٦/٤.

يقول الأستاذ الدكتور/ محمد سعيد عرام – رحمه الله – في كِتابِه الضِّيَاء[1]: " وقد ورد في كتابِ الله ﷻ ما يدلُّ على أنَّ الجَمَادات وغير العُقَلاءِ يُسَبِّحُون كالعُقَلاءِ أيضًا بلسانِ المقَال، قال تعالى :﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ ص: ١٨ – ١٩

وقال أيضًا: قال تعالى :﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ الأنبياء: ٧٩

قال تعالى :﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ سبأ: ١٠

قال تعالى :﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ النور: ٤١

فهذه الآياتُ تَدُلُّ على أنَّ ما لا يعقِلُ من الحيوانِ والجمادِ إنَّما يُسبحُ بلسانِ المقالِ أيضًا، وإنْ كان الإنسانُ لا يفقهُ تسبيحَها، وهذا رأيُّ جمهورِ السَّلفِ، وقد جاء في السُّنَّةِ المطَهرة ما يدلُّ على أنَّ الجَمَادَات وما لا يَعْقِلُ من الحيواناتِ يُسَبِّح اللهَ ﷻ بلسانِ المقَال، وذلك كتسبيحِ الحَصَى في كفِّ النبيِّ محمدٍ ﷺ، وسماعِ ذلك التسبيحِ جَلِيًّا واضِحًا..."انتهى.

(١) " الضِّياء في تفسير سورة الإسراء " ص ٢٥٩ للأستاذ الدكتور/ محمد سعيد عطية عرام، مكتب العلم الحديث للطباعة – الزقازيق، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣– ٢٠٠٤م.

الفصل الثالث

أوقات التسبيح، وبيان أثره الوجداني

المبحث الأول

مواطن التسبيح

إنَّ المتأمل للآيات التي ورد فيها التسبيح في كتاب الله ﷻ يجد أن التسبيح يُشرع في مواطن مخصوصة – فضلا عن التسبيح العام في كل وقت وعلى كل حال – ومن خلال استقراء تلك الآيات نجد أن معظم التسبيح الوارد فيها جاء في مواطن تنزيه الله ﷻ عن شرك المشركين، وافتراء المفترين، أو في مواطن الحديث عن عظمة الله تعالى وجلاله، وبيان آياته الباهرة في خلقه، ويشرع التسبيح أيضًا في مواطن التعجب، وعقيب الطاعات، وبعد الفوز بنصر الله ﷻ.

بيان بعض هذه المواطن:

١ – التسبيح في موطن تنزيه الله ﷻ

وقد وضحتها في تسبيح الله في القرآن[١]

(١) ينظر: ص٢٥.

٢- التسبيح في المواطن الدالة على قدرة الله ﷻ وعظمته:

إن المواطن التي يستشعر فيها العبدُ عظمةَ ربه ﷻ ويرى من عجيب قدرة الله ﷻ لا يمكن لمخلوق حصرها، ولا يحيط بها إلا الذي خلقها ﷻ، وكم من عجائب لله ﷻ في العالمين يتغافل عنها الناس ويتجاهلونها؛ إلا أولي الألباب منهم، الذين قال الله ﷻ فيهم: قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ آل عمران: ١٩٠ - ١٩١

إن هؤلاء المتفكرين في خلق الله ﷻ من أولي الألباب لما استشعروا عظمة الخالق امتلأت قلوبهم تنزيهًا له ﷻ وانطلقت ألسنتهم بتسبيحه ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ ﴾ فإن المواطن التي يقف فيها العبد على شيء من عظيم قدرة ربه وبديع صنعه، لا يملك العبد فيها إلا أن يلهج بتسبيح ربه وتنزيهه عن كل نقص أو عيب نسبه إليه المبطلون.

" إن المؤمن المتفكر بعد أن تدبر ونظر، ودقق وتفكر، يتوجه إلى الله ﷻ متضرعًا معلنًا قناعته بحكمة الله العليا في خلق المخلوقات".[١]

(١) التفسير المنير للزحيلي ٤/٢٠٧.

ولقد افتتح الله ﷻ سورة الإسراء بالتسبيح؛ لأن السياق يتحدث عن معجزة عظيمة لا يقدر عليها أحد إلا الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾الإسراء: ١

فالإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم آية من آيات الله دالة على عظيم قدرته ﷻ.

والافتتاح بكلمة التسبيح من دون سبق كلام يؤذن بأن خبرًا عجيبًا يستقبله السامعون، دالًا على عظيم القدرة من المتكلم ﷻ ورفيع منزلة المتحدث عنه. (١)

ومن الآيات التي ورد فيها التسبيح، في موطن بيان عظمة الله ﷻ، قوله تعالى: قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يس: ٣٦

وقوله في السورة نفسها : قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ يس: ٨٢ – ٨٣

٣– التسبيح في مواطن التعجب

ومن المواطن التي يَرِدُ فيها التسبيح ويشرع: التعجب، وقد ورد التسبيح في عدد من الآيات في موطن التعجب – سواء كان التعجب من عظمة قدرة الله ﷻ أو تعجبٌ من

(١) التحرير والتنوير ٩/١٥.

غير ذلك – ومن الآيات في ذلك قوله تعالى : قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ البقرة: ١١٦

فتسبيحه ﷻ لنفسه في هذه الآية كما يتضمن تنزيهه عن اتخاذ الولد، يتضمن كذلك التعجب من هذه المقولة الباطلة.

لقد أمر الله ﷻ رسوله محمدًا ﷺ بأن يسبحه عندما طلب منه سفهاء المشركين – على سبيل الاستهزاء – أن يأتيهم بمعجزات لا يقدر عليها البشر

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾الإسراء: ٩٠ – ٩٣

ففي قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ أمره الله بأن يجيبهم بما يدل على التعجب من كلامهم بكلمة (سبحان ربي) التي تستعمل في التعجب.(١)

يقول – تعالى ذِكره – لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين لك هذه الأقوال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تنزيهًا لله عما يصفونه به، وتعظيمًا له من أن يؤتى به أو بملائكته، أو يكون لي سبيل إلى شيء مما تسألونيه ﴿هَلْ

(١) التحرير والتنوير ٢١١/١٥.

كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ يقول: هل أنا إلا عبد من عبيده من بني آدم، فكيف أقدر أن أفعل ما سألتموني من هذه الأمور، وإنما يقدر عليها خالقي وخالقكم، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، والذي سألتموني أن أفعله بيد الله عز وجل، الذي أنا وأنتم عبيد له، لا يقدر على ذلك غيره".(١)

فالمؤمن يُشرع له التسبيح في المواطن التي لم يتم تنزيه الله فيها، ومن الآيات التي ورد فيها التسبيح في موطن التعجب، قول الله ﷻ:

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ النور: ١٦

ففي هذه الآية يؤدب الله ﷻ المؤمنين بما يجب عليهم فعله وقوله إذا سمعوا كلامًا يسيء إلى عِرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالذي عليهم أن يبادروا إليه إنكار هذا الكلام أشد الإنكار، وأن يزجروا أنفسهم عنه زجرًا ٱ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ ٱ أي: ما يصح منا إطلاقًا أن نتكلم بهذا الحديث البالغ أقصى الكذب والافتراء، وعلمهم ربهم في هذا الموطن أن يسبحوه؛ يسبحوه على سبيل التعجب من شناعة هذا الخبر، فقولهم في هذا الموطنُ سُبْحَانَكَ ٱ أي: نتعجب يا ربنا من شناعة

(١) تفسير الطبري١٧/٥٥٤.

ما سمعناه؛ فإن ما سمعناه عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – كذب يبهت ويدهش من يسمعه، و في الشناعة لا تحيط بوصفه عبارة ".[١]

هكذا بيَّن لنا القرآن التسبيح في موطن التعجب، وقد ورد في السنة أيضا من المواطن التي يسبح فيها الإنسان عند التعجب، ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ: (أن النبي ﷺ لقي أبا هريرة وأبو هريرة جُنب، فانسلَّ أبو هريرة ﷺ وذهب خفية فاغتسل، فتفقده النبي ﷺ وسأل عنه، قال: أين كنتَ يا أبا هريرة؟ قال: يا رسول الله، لقيتني وأنا جُنب، فكرهتُ أن أجالسك حتى أغتسل، فقال: سبحان الله! إن المؤمن لا ينجس) فقد تعجب النبي ﷺ مما قاله أبو هريرة ﷺ، إذ كان أبو هريرة ﷺ يظن أن الجُنب لا يجالس ولا يصافح، فقال (سبحان الله! إن المؤمن لا ينجس). [٢]

وكذلك جاء في صحيح مسلم عن أنس ﷺ أن أخت الربيع، أم حارثة، جَرحتْ إنسانًا، فاختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القصاص، القصاص»، فقالت أمُّ الربيع: يا رسول الله، أيقتص من فلانة؟ والله لا يقتص منها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سبحان الله يا أم الربيع! القصاص كتاب الله»، قالت: لا، والله لا يقتص منها أبدا، قال: فما زالت حتى قبلوا الدية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن مِن عباد الله مَن لو أقسم على الله لأبرَّه». [٣]

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ٩٨/١٠.

(٢) صحيح البخاري كتاب الغسل، باب عرق الجنب، وأن المسلم لا ينجس ٢٨٣ ٦٥/١.

(٣) " صحيح مسلم " كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب إثبات القصاص في الأسنان، وما في معناها ١٣٠٢/١٦٧٥٣.

ومن هنا ينبغي للعبد إذا سمع أو رأى شيئا عجيبا من فعلٍ أو قولٍ فإنه يُشرع له التسبيح.

٤- التسبيح عقيب الطاعات

ومن المواطن التي يشرع فيها التسبيح أيضًا: بُعيد الانتهاء من الطاعات والعبادات، كالتسبيح في أدبار الصلوات، وقد أمر الله ﷻ بذلك في قوله تعالى:

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ طه: ١٣٠

قال الطبري: " في هذه الآية يأمر الله ﷻ نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر، ويأمره بأن يسبح بحمد ربّه في أوقات مخصوصة خصَّها ﷻ، وذكر الله ﷻ من هذه الأوقات: أدبار السجود، وللمفسرين أقوال في المقصود بالتسبيح في أدبار السجود، ذكرها الإمام الطبري فقال: «واختلف أهل التأويل في معنى التسبيح الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يسبحه أدبار السجود، فقال بعضهم: عُني به الصلاة، فقالوا: وهما الركعتان اللتان يصليان بعد صلاة المغرب. وقال آخرون: عني به التسبيح في أدبار الصلوات المكتوبات، دون الصلاة بعدها. وقال آخرون: هي النوافل في أدبار المكتوبات " (١)

(١) تفسير الطبري٢٢/٣٧٧.

٥- التسبيح بعد النصر

التسبيح بعد النصر أهم صور التفاعل الواجب علينا فعله حتى يُجهِز على العُجب، وحتى لا ننشغل بالنصر عن النصير سبحانه، وبالنعمة عمن أنعم علينا بها، فالنصر بيد الله ﷻ، يمتن به على من يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ ال عمران: ١٢٦

فإذا أنعم الله ﷻ بالنصر أو الإنجاز في أي ميدان من الميادين سواء في محاريب النسك والصلاة أو محاريب الحياة على مستوى الفرد أو الأمة، فعلينا أن نجتهد في شكر ربنّا على هذه النعمة العظيمة، ولقد علَّم الله ﷻ الأمة المؤمنة كيف تشكر ربها ﷻ عند حصول نعمة النصر، وذلك من خلال تلك السورة العظيمة التي أنزلها الله ﷻ على رسوله محمد ﷺ، وهي آخر سورة أنزلت كاملة على رسول الله ﷺ، موجهًا له كيف يقابل نعمة ربه بالنصر والفتح المبين.

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ النصر: ١ – ٣

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إذا جاءك نصرُ الله يا محمد على قومك من قريش، والفتح: فتح مكة ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾ من صنوف العرب وقبائلها ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ يقول: في دين الله الذي بعثك به أفواجًا، يعني: زمرًا، فوجًا فوجًا، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يقول: فسبح ربك وعظمه بحمده وشكره، على

ما أنجز لك من وعده، وقوله ﴿ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ يقول: وسله أن يغفر ذنوبك؛ إنه كان ذا رجوع لعبده المطيع إلى ما يحب ".[١]

ومن هذه السورة الكريمة نعلم: أن من واجباتنا بعد النصر التسبيح حتى تحفظ علينا هذا النصر، وترعى لنا دوامه، وتوسع لنا هذه السورة مفهوم النصر ليشمل كل أمر نجح الإنسان في تحقيقه أو كل فوز حصله كالتعبد في مواسم الخيرات أو التخلص من بعض المحرمات، هذا من أعظم المواطن التي يشرع فيها التسبيح شكرًا لله ﷻ، موطن حصول النصر.

ولقد امتثل النبي صلى الله عليه وسلم أمر ربه ﷻ فيما أمره به في هذه السورة، فعن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها – أنها قالت: كان صلى الله عليه وسلم يكثر– بعد نزول هذه السورة – أن يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي) يتأول القرآن".[٢]

قال النووي في شرحه لهذا الحديث: «معنى يتأول القرآن: يعمل ما أمر به في قول الله ﷻ : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ وكان صلى الله عليه وسلم يقول هذا الكلام البديع في الجزالة، المستوفي ما أمر به في الآية، وكان يأتي به في الركوع

(١) تفسير الطبري ٦٧١/٢٤.

(٢) صحيح مسلم كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ٤٨٤ ٣٥٠/١.

والسجود؛ لأن حالة الصلاة أفضل من غيرها، فكان يختارها لأداء هذا الواجب الذي أمر به ليكون أكمل".[١]

٦- التسبيح عند الاستواء على المركوب

يشرع للمسلم إذا ركب مركوبًا من دابة أو سفينة أو سيارة أو طائرة، أو غيرها من وسائل النقل أن يسبح الله ﷻ تسبيحًا مقرونًا بالحمد والتهليل والتكبير والاستغفار، وذلك امتثالًا لقول الله ﷻ: ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ الزخرف: ١٢ - ١٣

ففي هذه الآيات يذكر الله ﷻ عباده بما خلق من أصناف المخلوقات المتنوعة، ويمتن سبحانه على عباده بما جعله لهم من أنواع المراكب التي يركبونها في البحر والبر، إلى حيث قصدوا في الأرض لمعايشهم ومطالبهم، ويعلمهم ما يقولون إذا استقروا على ظهر هذه المراكب، من تسبيح الله ﷻ، وشكره على نعمه، التي منها: تسخير هذه المراكب للناس، والتي لولاه سبحانه ما أطاقوها ولا ضبطوها؛ ولكنه سبحانه من لطفه وكرمه سخرها وذللها ويسر أسبابها، وهذا معنى قوله ﷻ : ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [٢]

(١) شرح النووي على مسلم ٢٠١/٤.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ٢٠٢/٧، وأضواء البيان للشنقيطي ٨٧/٧.

ولقد شرع الله ﷻ تسبيحه عند الاستواء خاصة﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ توطئة وتمهيدا للإشارة إلى ذكر نعمة الله في قوله:ُ ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليهَّ أي حينئذ، فإن ذكر النعمة في حال التلبس بمنافعها أوقع في النفس وأدعى للشكر عليها، وأجدر بعدم الذهول عنها، أي جعل لكم ذلك نعمة لتشعروا بها فتشكروه عليها، فالذكر هنا التذكر بالفكر لا الذكر باللسان.(١)

ولقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ما أمر الله به معلمًا الأمة كيفية الامتثال لأمر ربها ﷻ، فعن ابن عمر ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر، كبَّر ثلاثا، ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطوِ عنا بُعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل»، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون». (٢)

وفي مشروعية التسبيح عند الاستواء على ظهر المركوب شكرًا لنعمة الله ﷻ، تذكير بمشروعية التسبيح عند الانتفاع بكل ما سخر الله ﷻ لنا في هذه الدنيا، فشكر النعمة واجب، ومن أعظم أوجه شكر المنعم ﷻ تسبيحه وتقديسه وتنزيهه، فسبحان الله وبحمده.

---

(١) التحرير والتنوير ١٧٤/٢٥.

(٢) " صحيح مسلم" كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره ١٣٤٢ ٩٧٨/٢.

٧- التسبيح عند الأزمات والكروب

من المواطن التي أشار القرآن الكريم إلى مشروعية التسبيح فيها أيضًا: موطن الكرب والشدة، فقد يتعرض العبد في هذه الدنيا إلى الوقوع في شدة أو كرب، يحتاج عندئذ إلى الالتجاء إلى من ينجي من الكرب، ويفرج الشدائد، ويُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوء، ولقد علمنا ربنا ﷻ ماذا نقول في مناجاتنا له سبحانه عند الكرب، وذلك من خلال ما أخبر به ﷻ من قصة ذي النون عليه السلام ، عندما ناجى ربه في الظلمات.

قال تعالى :﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾الأنبياء: ٨٧

قال الله ﷻ في حق نبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ الحجر: ٩٧ – ٩٨

قال الشنقيطي رحمه الله: اعلم أن ترتيبه – جل وعلا – الأمر بالتسبيح والسجود على ضيق صدره صلى الله عليه وسلم بسبب ما يقولون له من السوء، دليل على أن الصلاة والتسبيح سبب لزوال ذلك المكروه.

٨- وقد ورد في السنة التسبيح عند مواجهة أعباء الحياة

تسبيح الله ﷻ له أثر عظيم في تخفيف أعباء الحياة ومتاعبها، واستجلاب معونة الله تعالى للعبد، ففي الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن فاطمة – عليها السلام – شكت ما تلقى من أثر الرَّحا، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم سبيٌ، فانطلقت فلم تجده،

فوجدت عائشة — رضي الله عنها – فأخبرتها، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبتُ لأقوم، فقال: «على مكانكما». فقعد بيننا حتى وجدتُ برد قدميه على صدري، وقال: " ألا أعلمكما خيرا مما سألتماني، إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعا وثلاثين، وتسبحا ثلاثا وثلاثين، وتحمدا ثلاثا وثلاثين فخير لكما من خادم ".(١)

ويستفاد من الحديث: أنَّ مَن واظَب على هذا الذِّكرِ عند النَّومِ، لم يُصِبْه إعياءٌ؛ لأنَّ فاطمةَ – رضِي اللهُ عنها – شَكَتِ التَّعَبَ من العَملِ، فأحالَها النبي ﷺ على ذلك، فإذا واظب المؤمن على هذه المواطن أصبحت حياتُه حافلةً بالتسبيح.

(١) صحيح البخاري كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه ٥/١٩ ٣٧٠٥.

المبحث الثاني

الأوقات المخصوصة بالتسبيح

١- التسبيح في العشي والإبكار

قال الله تعالى مخاطبًا رسوله محمدًا ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ غافر: ٥٥

والعشي: من حين زوال الشمس إلى أن تغيب. قال الأزهري: ويقع العشي على ما بين زوال الشمس إلى وقت غروبها، كل ذلك عشي، فإذا غابت الشمس فالعشاء.(١)

والإبكار: مصدر أبكر، بمعنى خرج ما بين مطلع الفجر إلى وقت الضحى، فوقت الإبكار أول النهار، من الفجر إلى الضحى.(٢)

قال السعدي: " أمره بالصبر الذي فيه يحصل المحبوب، وبالاستغفار الذي فيه دفع المحذور، وبالتسبيح بحمد الله تعالى خصوصًا بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ اللذين هما أفضل الأوقات، وفيهما من الأوراد والوظائف الواجبة والمستحبة ما فيهما؛ لأن في ذلك عونًا على جميع الأمور".(٣)

---

(١) تهذيب اللغة ٣/٥٨.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٢١/٤٠٣.

(٣) تفسير السعدي ص٧٣٩.

وقد ورد الأمر بالتسبيح بالعشي والإبكار موجهًا إلى نبي الله زكريا عليه السلام، وذلك في قول الله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ آل عمران: ٤١ وهذا في هذا الموضع، وسورة مريم

ففي هذه الآية: أمر الله عز وجل نبيه زكريا عليه السلام بأن يذكره كثيرًا، وبأن يسبحه في وقتين مخصوصين؛ هما: العشي والإبكار.

وبذلك يكون الله عز وجل قد أمر زكريا عليه السلام بأن يكثر من التسبيح في آخر النهار وأوله.

ومن الآيات التي ذكرت التسبيح في أول النهار وآخره: قول الله عز وجل مخبرًا عن عبده ونبيه داود عليه السلام : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ ص: ١٨ – ١٩

أي: إن الله تعالى سخر الجبال تسبح مع داود عليه السلام عند إشراق الشمس وآخر النهار، وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه، وترجع بترجيعه؛ إذا مَرَّ به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب؛ بل يقف في الهواء ويسبح معه، وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعًا له.(١)

يُفهم من الآية أن نبي الله داود عليه السلام كان يسبح ربه تسبيحًا خاصًا في هذين الوقتين: بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ، وتسبح معه الجبال والطير فيهما، والإشراق الوارد في الآية: وقت

(١) تفسير ابن كثير ٥٧/٧.

شروق الشمس إلى وقت الضحى، و بذلك فهو مرادف لوقت الإبكار الوارد في الآيات السابقة.

٢- التسبيح بكرة وأصيلًا

ورد التسبيح في كتاب الله ﷻ مقيدًا بوقتي البكرة والأصيل في ثلاثة مواضع:

الأول: قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾الأحزاب: ٤١ - ٤٢

فوقت البكرة وقت الإبكار، و -كما ذكرنا - أول النهار، أما الأصيل فالوقت من بعد العصر إلى غروب الشمس، وبذلك مرادف لوقت العشي، وحدده بعض أهل اللغة بأنه آخر العشي، قال ابن فارس: " الأصيل بعد العشي ".(١)

الثاني: قال تعالى:﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الفتح: ٨ - ٩

ففي الآية الأولى من هاتين الآيتين :بيان للوظيفة التي كلف الله ﷻ بها رسوله ﷺمن الشهادة على الناس، وتبشير المؤمنين، وإنذار العصاة والكافرين، وفي الآية الثانية: بيان للحكمة من إرسال الرسول ﷺ، وهي أن يقوم الناس بالإيمان بالله ﷻ وبرسوله صلى الله عليه وسلم، ويعظموا الرسول ويوقروه، ويسبحوا الله ﷻ أول النهار وآخره.

(١) تهذيب اللغة ١٢/١٦٩، ومقاييس اللغة ١/١١٠، مادة "أصل".

الثالث: قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ النور: ٣٦ – ٣٧

والمراد بالغدو الوارد في الآية: وقت البكرة نفسه الوارد في الآيات السابقة، ووقت أول النهار.

٣– التسبيح قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وآناء الليل وأطراف النهار، وأدبار السجود

ورد التسبيح في هذه الأزمنة في مواضع من كتاب الله ﷻ:

الأول: قال تعالى:﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ طه: ١٣٠

يقول تعالى ذكره (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) يا محمد أن كلّ من قضى له أجلا فإنه لا يخترمه قبل بلوغه أجله (وَأَجَلٌ مُسَمًّى) يقول: ووقت مسمى عند ربك سماه لهم في أمّ الكتاب وخَطَّه فيه، هم بالغوه ومستوفوه (لَكَانَ لِزَامًا) يقول: للازمهم الهلاكُ عاجلا، ومصدر من قول القائل: لازم فلان فلانا يلازمه ملازمة ولزاما: إذا لم يفارقه، وقدّم قوله (لَكَانَ لِزَامًا) قبل قوله (أَجَلٍ مُسَمًّى) ومعنى الكلام: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما، فاصبر على ما يقولون.(١)

(١) تفسير الطبري ٣٩٩/١٨.

الثاني: قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾ ق: ٣٩ – ٤٠

يقول: وصلّ بحمد ربك صلاةَ الصبح قبل طلوع الشمس وصلاةَ العصر قبل الغروب.(١)

الثالث: قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾الإنسان: ٢٥ – ٢٦

٤– التسبيح في الصباح والظهر والمساء

ورد الأمر بالتسبيح في وقت الصباح والمساء والظهيرة موجها للمؤمنين جميعا في قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ الروم: ١٧ – ١٨

يقول تعالى ذكره: فسبحوا الله أيها الناس: أي صلوا له (حِينَ تُمْسُونَ)، وذلك صلاة المغرب، (وَحِينَ تُصْبَحُونَ)، وذلك صلاة الصبح (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) يقول: وله الحمد من جميع خلقه دون غيره (فِي السَّمَوَاتِ) من سُكانها من الملائكة، (وَالأَرْضَ) من أهلها، من جميع أصناف خلقه فيها، (وَعَشِيًّا) يقول: وسَبِّحوه أيضا عشيا، وذلك صلاة العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) يقول: وحين تَدْخلون في وقت الظهر.(٢)

(١) تفسير الطبري ٣٧٦/٢٢.

(٢) تفسير الطبري ٨٣/٢٠.

المبحث الثالث

الأثر الوجداني للتسبيح

إذا أحسن المسلم تفهم التسبيح وفضله جيدا، فإنه يجد لذلك أثرا في قلبه، ويفيض ذلك الأثر على وجدانه؛ بل وكل كيانه.

١- فيشعر بالأمان ويتخلص من نفسه الأمارة ووساوس الشيطان قال تعالى:﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ الحجر: ٩٧ - ٩٩

٢- ويشعر بالتقصير تجاه القيم والثمار التي ربما كانت نجاته يوما وغفل عنها، فيبادر بامتثالها ولا يقصر فيها لإدراكه لأهميتها.

٣- ويشعر بالأمل والتفاؤل والطمأنينة والأمان قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨

٤- يشعر بالندم على غفلته عن التسبيح الذي كان سيقتصر له طريق النجاة، ويوفر له كثيرا من الوقت والجهد.

٥- يشعر بالراحة النفسية ويعالج نفسه من أمراض روحيه عجز عنها الأطباء قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٧

٦- يشعر بالرحمة وغشيان السكينة عليه.

٧- يشعر بالفرح والامتنان لله أنْ هداه لهذا الذكر العظيم.

٨- يشعر بالحياء من الله على تقصيره في هذا الذكر، غفرانك ربنا.

٩- يشعر بالرضا قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ طه: ١٣٠

١٠- يشعر بالحياء من نفسه عندما يجد كل ما في الكون يسبح، فيبادر بأحسن تسبيح.

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ حَمْدَ المعْتَرِفِ بنعمائِه، الشَّاكرِ لآلائه، الرَّاجِي مزيدَ عطائِه، أَحْمَدُهُ بجميعِ المِحَامدِ ما عَلِمْتُ منها وما لم أَعْلَمْ على ما غَمَرَنِي به من فَضْلِه وكَرَمِه، وأَعَانَنِي بِمَنِّهِ وإحسانِه على إتمامِ هذا البَحْثِ، والصَّلاةُ والسلامُ على خيرِ خلقِ اللهِ، وخاتمِ رسلِه وأنبيائِه؛ سيدِنا محمدٍ ﷺ، ورضوانُ اللهِ على الصَّحابةِ أجمَعين، ومن اهتَدَى بهديهم ، وسار على نهجِهم إلى يوم الدِّين، وبعد ...

فمِنْ خِلَال مُعَايَشَتِي لهذا البحث، بَرَزَتْ لي هذه النتائجُ:

أهم نتائج البحث:

التسبيح بكل مشتقاته في القرآن عبارة عن تنزيه الله ﷻ .

وأن حقيقته تنزيه الله ﷻ عن صفات النقص اعتقادًا وقولًا وعملًا عمَّا لا يليق بجنابه.

أن الله ﷻ نزه نفسه بنفسه، وجعَله شِعارًا لرسُله وأنبيائه – عليهم السلام – وعباده المؤمنين، وأنَّ الله ﷻ أَمَر به عباده عامَّة ورسُله – عليهم السلام – خاصَّة أمرًا صريحًا في كتابه الكريم، كما سمَّى الله ﷻ ذاته العليَّة بـ(السُّبُّوح)، بالإضافة إلى كثرة ورود ألفاظه في القرآن الكريم فوردت مادة (سَبَّح) في سبعة وثمانين موضعًا بتصاريفها المتعدِّدة، ناهيك عن اقترانه بألفاظ الذِّكر والثناء على الله ﷻ، كالحمد والذِّكر والإيمان والدعاء والاستغفار والصبر والتوكل، واقترانه – أيضًا – ببعض أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، فضلًا عن بيان القرآن الكريم لبعض ثمراته، ومنها أنَّ

الله ﷻ جعَله زادًا للصابرين، كما جعَله أحدَ أسباب النجاة مِن المخاطر، كما يستفاد مِن قصة نجاة نبي الله يونس عليه السلام.

التسبيح عبادة تُشرَع في كلِّ وقت، لكنَّها تتأكد في الأوقات الفاضلة، وفي مجيء الأمر بالتَّسبيح في القرآن الكريم في أزمنة مختلفة؛ إرشاد للعباد بإدامة التسبيح في جميع الأوقات، وإيذانًا باختصاص بعض أزمنة التسبيح بمزيد مزيَّة على غيرها.

اختصاص التسبيح بالله ﷻ وحده؛ فإنَّ المتأمِّل في آيات القرآن الكريم يَلحظ أنَّ التسبيح – سواء جاء باللفظ أو بالاعتقاد – حقٌّ خالص مِن حقوق الله ﷻ، لذا لا يجوز أن يُنعَت بها أحدٌ سواه أيًّا كان؛ وذلك لأنَّ لله ﷻ وحده صفات الكمال المطلَق.

التسبيح منهج الرسل–عليهم السلام– عمومًا، حيث لازمت عبادةُ التسبيح جميعَ المرسلين– عليهم السلام – فكانوا أئمَّة في كثرة تسبيحهم لله تعالى بألسنتهم وقلوبهم وأفعالهم، وقد قصَّ الله ﷻ في القرآن الكريم مشاهد عديدة مِن تسبيح رسُله – عليهم السلام.

التوصيات:

١– أوصي باستفراغ الوسع وعناية المتخصصين بالدراسات المتعلقة بالأذكار الشرعية وإدراك أهميتها واستخراجها في شكل بحوث، فهي عبادات يسيرة وأهميتها عظيمة في حياة المسلم.

٢– أوصي بغرس قيمة الذِّكر في طلبة المدارس والكليات من خلال تعليمها لهم.

٣- السعي إلى عقد محاضرات وندوات تناقش هذا المشروع، وحث الوعاظ عليه.

وبعد ...

فإنِّي لا أقولُ إنّني قد أَعطيتُ هذا البحثَ بعضَ ما يَسْتَحِقُّه، فما كانَ في هذا البحثِ مِن حَقٍّ وصَوَابٍ فمِنَ اللهِ وحدَه لا شَريكَ له، وله الحمدُ والمِنَّةُ، وما كان فيه من خطأٍ أو تَقْصيرٍ فمِن نَفْسي ومِن الشَّيطان، وأستغفرُ اللهَ مِن ذلك، وأَسأَلُه ﷻ التوفيقَ والسَّدادَ لصالحِ الأعمالِ، إنَّه سميعٌ مُجيب، وآخرُ دَعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ على نَبِيِّنَا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحبِه أجمعين.

❁ ❁ ❁

فهرسُ المراجعِ والمَصادر

أولًا– كتبُ التَّفسِير، وعلوم القرآن

١–أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمَّد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٢–التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمَّد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٣–التَّفْسِيرُ البَسِيْط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ.

٤–التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لِوَهْبة بن مصطفى الزُّحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية ، ١٤١٨ هـ.

٥–الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٦–الدر المنثور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)الناشر: دار الفكر – بيروت.

٧–الضياء في تفسير سورة الإسراء تأليف: الأستاذ الدكتور/ محمد سعيد عطية عرام، مكتب العلم الحديث للطباعة – الزقازيق، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣- ٢٠٠٤م.

٨–الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٩–تفسير القرآن (واختصار لتفسير الماوردي) لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٠–تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١١–تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ).

١٢-تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لمحمَّد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٣-تفسير الماوردي = النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
١٤-تفسير عبد الرزاق لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.، الطبعة: الأولى سنة ١٤١٩هـ.
١٥-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
١٦-جامع البيان في تأويل القرآن لمحمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٧-مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
١٨-إعراب القرآن، لأبي جعفر النَّحَّاس النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم. الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.
١٩-تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٢٠-تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢١-الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

ثانيا- كتبُ الحديثِ:

١-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج ، أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
٣-سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

سنن أبي داود: لأبي داود السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ت: شعَيب الأرناؤوط – الناشر: دار الرسالة العالمية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

٤–مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٥–سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

٦–المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٣٩٢هـ.

٧–فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣ م

٨–الدعاء للطبراني، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٣ هـ.

٩–معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)

الناشر: المطبعة العلمية – حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م.

١٠–إِكمَالُ المعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض ، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

ثالثا– كتبُ اللُّغةِ والأدبِ والمَعَاجِمِ:

١–المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

٢–تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠١م.

٣–معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ.

٤–معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرَّازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٥-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت

فهرس الموضوعات

المقدمة..... ٦
الفصل الأول: التعريف بالتسبيح..... ١٠
المبحث الأول: معنى التَّسبيح..... ١٠
المبحث الثاني: التَّسبيح في القرآن..... ١٣
المبحث الثالث: أوجه التَّسْبِيح في القرآن..... ٢٩
المبحث الرابع: مقاصد التسبيح وأهدافه..... ٣٣
المبحث الخامس: حُكْم التَّسْبِيـــح..... ٣٦
المبحث السادس: أهمية التسبيح..... ٤٠
الفصل الثاني: نماذج قرآنية للمسبحين..... ٤٧
المبحث الأول: تسبيح الأنبياء عليهم السلام..... ٤٧
المبحث الثاني: تسبيح المؤمنين..... ٥٤
المبحث الثالث: تسبيح بقية المخلوقات..... ٥٨
الفصل الثالث: أوقات التسبيح وبيان أثره الوجداني..... ٦١
المبحث الأول: مواطن التسبيح..... ٦١
المبحث الثاني: الأوقات المخصوصة بالتسبيح..... ٧٤
المبحث الثالث: الأثر الوجداني للتسبيح..... ٧٩
الخاتمة والفهارس ٨١